سلسلة تفريغات شبكة بينونة

فتح التواب الواسع

بالتعليق على

المقدمة العقدية

من الكتاب الجامع

لابن أبي زيد القيرواني المالكي



د. أحمد بن مبارك بن قنزلان المزروعي

« قام به فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية »

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

من هنا باقي التفريغات

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي مَنَّ وأعطى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى الذي بيَّن الدين وبه الله هدى، اللهم صلِّ عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على أثرهم وللسنة اقتفى، أما بعد:

فلما كانت العقيدة أوجب ما يعتني به المسلم، وأرغب ما يجتهد في فهمها العاقل؛ شرعت في تدريس متونها، واخترت في ذلك كتب أئمة المذهب المالكي رحمهم الله ممن كان على طريقة السلف الصالح، ومن أبرز أولئك ابن أبي زيد القيرواني الذي لُقب بمالك الصغير.

وقد دوَّن رحمه الله في العقيدة ثلاثة متون عظيمة اشتهر منها مقدمته من كتاب الرسالة، التي تناولها العلماء بالشرح والاعتناء، لكن المتنان الآخران لم يحظيا بكثير عناية، بل ولا بقليل عناية مع أهميتهما، الأول: مختصر في العقيدة أودعه في آخر كتاب الزيادات والنوادر، والثاني: مقدمة عقدية في الكتاب الجامع الذي سأشرع في التعليق عليها، وهي مقدمة نفيسة أوسع من مقدمة الرسالة في التقرير والبيان لعقيدة أهل السنة والجماعة، وفيها أمر مهم جدًا وهو أن بعض من شرح مقدمة الرسالة قد صرفها في بعض مسائلها عن مراد مصنفها، فأتت هذه العقيدة رادة لهم، مؤكدة على ما أراده القيرواني من تقرير عقيدة السلف الصالح التي كان عليها مالك رحمه الله.

وسوف أتناول شرح هذه العقدية معلقًا على مسائلها بصورة مختصرة أشبه بأن تكون للمرحلة بعد المتوسطة، يبتدئ الطالب أولًا بنظم ابن مشرف لمقدمة الرسالة، ثم ينتقل إلى مقدمة الرسالة كمرحلة متوسطة، ثم يرتقي إلى مقدمة الكتاب الجامع[١].

والله أسأل التوفيق والسداد لي ولقارئ الكتاب.

---

[١] وقد تناولت بفضل من الله هذه المتون الثلاثة بالشرح، يسر الله ظهورها وطباعتها.

التعريف بالمُؤلَّف والمُؤلِّف

أولًا المُؤلِّف: هو أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي الإمام العلامة الفقيه، عالم المغرب في عصره، يُقال له: مالك الصغير، كان أحد من برّز في العلم والعمل وحاز رئاسة الدين والدنيا.

رُحل إليه من الأقطار ونَجُبَ أصحابه وكثر الآخذون عنه وهو الذي لخص المذهب أصولًا وفروعًا.

من مؤلفاته: كتاب الرسالة بلغت شروحه أكثر من مائة شرحٍ، وكان عمره حين ألَّفها سبع عشرة سنة، ومن مؤلفاته كتاب «النوادر والزيادات» كتاب عظيمٌ يقع في خمسة عشر جزءًا، كما اختصر رحمه الله «المدونة» و «المختلطة» وغيرها من المؤلفات القيمة التي أثرت المكتبة الإسلامية وأصبح عليها المعول في المدرسة المالكية.

توفي رحمه الله سنة ٣٨٦ للهجرة [١].

ثانيًا المُؤلَّف: اسمه كتاب «الجامع في السنن والآداب والحِكم والمغازي والتاريخ وغير ذلك»، وهو وإن أُفرد في كتاب لكن أصله ضمن كتاب اختصار المدونة والمختلطة، وهو كتاب فقهي نفيس ماتع حوى فنونًا شتى، وعلمًا دقيقًا بارعًا، منه هذه المقدمة العقدية لكتاب الجامع، ومن نافلة القول أن عادة بعض علماء المالكية تصنيف الكتب الجامعة في مسائلَ شتى غير مسائل الفقه، وهم على طريقتين في تصنيف الجوامع:

[١] ينظر: ترتيب المدارك للقاضي عياض (٣/ ٢٤٧)، سير أعلام النبلاء للذهبي(٤/ ٣٣).

الأولى: تصنيف جامعٍ مستقل كما صنع ابن وهب في الجامع.

الثاني: تصنيف جامع تابع لكتاب غير مفردٍ كما صنع مالك في الموطأ، وكذلك ابن جزي في «القوانين الفقهية»، وهو صنيع القيرواني في كتبه.

وهم يختلفون في محتوى هذا الجامع لكن في الأغلب ليس فيها المسائل الفقهية كالوضوء والصلاة بل العقائد والآداب والتواريخ ونحو ذلك.

وقد بين ابن أبي زيد رحمه الله أن مؤلفه مختصر مقتبس من أربعة مصادر:

الأول: سماعات عن مالك.

الثاني: موطأ الإمام مالك.

الثالث: المستخرجة مختصر ابن عبد الحكم الكبير والصغير.

الرابع: مختصر المدونة.

ومن هنا تظهر أهمية هذا السِّفر الذي هو بمثابة اللآلئ الثمينة التي استخرجها المؤلف من تلك البحار العظيمة.

باب ذكر السنن التي خلافها البدع، وذكر الاقتداء والإتباع، وشيء من فضل الصحابة ومجانبة أهل البدع

الشَّرْح

هذه الترجمة تتضمن أربعة أمور:

١- بيان معنى السنن، والمراد بها هنا مسائل العقائد؛ لأنّ السنّة تطلق ويراد بها عدة إطلاقات:

أ- السنّة العقدية التي يخالفها البدعة، وهذا مراد المؤلف، وهو اصطلاح العلماء عندما يقولون: فلان صاحب سنة، وعلى هذا مصنفات العلماء كأصول السنّة لابن أبي زمنين المالكي، وتقريراتهم كقول الإمام أحمد رحمه الله: أصول السنّة عندنا.

ب- السنة التي هي أقوال النّبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته، وهو مصطلح المحدثين في تعريف السنّة.

ت- السنّة في مقابل المستحب والمندوب وهو اصطلاح الأصوليين.

٢- بيان الاقتداء والإتباع، وهو إشارة إلى أنّ السنّة طريقها الاقتداء بالكتاب والسنّة، فلا تثبت قدم في الإسلام إلا على قنطرة الاستسلام والإذعان.

٣- بيان فضل الصحابة، وذلك لأنّهم القدوة في فهم الكتاب والسنّة، فلا طريق إلى الكتاب والسنّة إلا عن طريقهم فهمًا وعلمًا وعملاً.

٤- ذكر وجوب مجانبة أهل البدع، وذلك لأنّ العبد لا تتم وتصح له الاستقامة على السنّة حتى يجانب البدع والمبتدعة.

٢- الحمد لله الذي شمل الخلق بنعمته، وبعث محمّدًا في أعقاب المرسلين، برحمته بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فهدى الله ﷻ من أحب هداه بمبعثه وكانوا على شفا حفرة من النار فأنقذهم به، فقام في العباد بحق الله عليه، حتى قبضه الله إليه حميدًا، صلوات الله عليه وبركاته بعد أن أكمل الله به دينه، وبلغ رسالة ربه، وأوضح كل مشكلة، وكشف كل معضلة، وأبقى كتاب الله ﷻ لأمته نورًا مبينًا، وسنته حصنًا حصينًا، وأصحابه حبلاً متينًا.

قال الرسول ﷺ: «تَركْتُ فِيكُم أمرين لَن تَضلُّوا ما تمسّكتُم بِهِمَا، كتَابَ الله وسنَّة نَبيّه»[١]. وقال عليه الصلاة والسلام: «عَليكُم بسنّتي وسنّة الخُلفَاء الرّاشدين من بَعدي عَضُّوا عَليها بالنَّواجِذ، وإيّاكم ومحدثَات الأمُور فإنّ كلّ محُدَثة بدعَة، وكلّ بدعَة ضَلالَةٌ»[٢].

الشرح

تتضمن هذه الفقرة ما يلي:

١- الحمد لله هو الثناء، فجميع المحامد لله مستحقة، الثناء بكلّ أنواع المحامد استحقاقًا لله جل وعلا.

٢- أنّ الله شمل الخلق بنعمِه، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨]، وقال أيضًا: ﴿وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ﴾ [لقمان: ٢٠]، فأعظم النعم في الإسلام سلوك صراط السنة، ثم النعم كثيرة من أمن وصحة ورغد عيش وغير ذلك، وقيد هذه النعم بالشكر إقرارًا وقولًا وعملًا.

[١] رواه مالك في الموطأ (١٥٩٤)، وحسنه الألباني في المشكاة (٤٧).

[٢] رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وصححه الألباني.

٣- أنّ الله بعث النّبي ﷺ آخر المرسلين على أعقابهم برحمة الله، فتحققت ببعثته عدة أمور:

أ- هدى الله به من أراد الله هدايته، قال ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

ب- بعثه مبشرًا بالجنة وبكل خير، منذرًا من الشرك وعن كل شرٍّ، داعيًا إلى الله وسراجًا منيرًا، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾[الأحزاب].

ت- أنّ النبيﷺ قام في العباد بحق الله حق القيام حتى قبضه الله فكان من أثر ذلك:

أن كمّل الله به الدين وبلغ الرسالة، قال ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة: ٣].

وأوضح كل مشكلة، وكشف كلّ معضلة، وهي الأمر العويص، قال ﷻ: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

٤- أنّ الله أبقى القرآن والسنّة وآثار الصحابة محفوظة، قال ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحجر: ٩].

لماذا أبقى الله هذه الأصول الثلاثة؟ ليكون الكتاب نورًا مبينًا لأمته، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾[الشورى: ٥٢].

ولتكون السنّة حصنًا حصينًا للأمة من فتن الشبهات والشهوات، وليكون الصحابة حبلاً متينًا لفهم الكتاب والسنة.

٥- استدل رحمه الله على أنّ التمسك بالكتاب والسنّة وما عليه الصحابة بدليلين:

الأول: قوله ﷺ: «**تَرَكتُ فيكم**». الحديث.

قال ابن عبد البر رحمه الله: «الهدي كل الهدي في اتباع كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فهي المبينة لمراد كتاب الله إذا أشكل ظاهره أبانت السنة عن باطنه وعن مراد الله منه»[١].

الثاني: «**عَليكُم بِسنَّتِي**». الحديث.

قال قبله: «**فإنّه من يَعشْ مِنكُم فَسيرَى اختلاَفًا كَثيرًا**»[٢] فأوصى رسول الله ﷺ بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم عند كثرة الاختلاف، وحث على التمسك بها تمسكًا شديدًا، وحذّر مما يخالفها من المحدثات التي هي بدع وضلالات.

---

[١] الاستذكار (٨/ ٢٦٥-٢٦٦).

[٢] رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦).

٣- وحذر ﷺ من الفتن والأهواء والبدع ومن زلة العالم، وقال ﷺ: «لتركبن سَنَن مَن قبلَكم»[١]، ووصف ﷺ الخوارج فجعلهم ببدعتهم مارقين من الدين، وتتابعت الآثار في الخوارج، وفي القدرية والمرجئة، وفرقة...[٢]

فعن هؤلاء تفرقت الأصناف الاثنان وسبعون فرقة التي حذر الرسول ﷺ منها، وذلك أن في أمته من تفرق عليها.

الشرح

هذه الفقرة تحتوي على عدة أمور:

١- أنّ النّبي ﷺ مع أمره باتباع الكتاب والسنة حذّر في المقابل من طرق الردى والبدع فحذر ﷺ من:

أ- الفتن، وأصل معناها الابتلاء والامتحان والاختبار، فالفتن قد تكون شهوات أو شبهات، قال رسول الله ﷺ: «**سَتكُونُ فِتَنٌ الْقَاعِدُ فيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائم، وَالْقَائمُ فيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ وَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً أَوْ مَعَاذاً فَلْيَعُذْ بِهِ**»[٣].

ب- وحذر ﷺ من الأهواء، فقال رسول الله ﷺ: «**سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ، لاَ يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلاَ**

[١] رواه الترمذي (٢١٨٠)، وصححه الألباني.

[٢] كذا في نسخة، وفي نسخة أبي الأجفان: «الروافض».

[٣] أخرجه البخاري (٣٦٠١)، ومسلم (٢٨٨٦).

مَفْصِلٌ إِلاَّ دَخَلَهُ»[١] ، وقال ﷺ: «إِنَّما أَخْشَى عَلَيْكُمْ شَهَوَاتِ الْغَيّ فِي بُطُونِكُمْ، وَفُرُوجِكُمْ، وَمُضِلاَّتِ الْهَوَى»[٢].

ت- من البدع، كما قال رسول الله ﷺ: «وكلَّ بدعةٍ ضَلالَةٌ، وكلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ»[٣] .

ث- ومن زلة العالم، ورد عن النّبي ﷺ قوله: «إِنِّي أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي مِنْ أَعْمَالٍ ثَلَاثَةٍ» قَالُوا: مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «زَلَّةُ الْعَالِمِ، أَوْ حُكْمٌ جَائِرٌ، أَوْ هَوًى مُتَّبَعٌ»[٤] .

وجاء عن عمر رضي الله عنه أنّه قال لزياد بن حدير: «هَلْ تَعْرِفُ مَا يَهْدِمُ الإِسْلاَمَ؟» قَالَ: قُلْتُ لاَ، قَالَ: «يَهْدِمُهُ زَلَّةُ الْعَالِمِ، وَجِدَالُ الْمُنَافِقِ، بِالْكِتَابِ وَحُكْمُ الأَئِمَّةِ الْمُضِلِّينَ»[٥].

والعالم إذا زلّ لا يتبع على زلته، فعن معاذ رضي الله عنه قال: «فَأَمَّا زَلَّةُ الْعَالِمِ فَلاَ تُقَلِّدُوهُ دِينكُمْ، وَإِنْ زَلَّ فَلاَ تَقْطَعُوا عَنْهُ أَنَاتَكُمْ»[٦].

هذه أدلة خاصة في كل نوع مما حذّر منه النبي ﷺ، والدليل العام ما ذكره المؤلف: «لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ».

---

[١] رواه أبو داود (٤٥٩٧)، وحسنه الألباني.

[٢] رواه أحمد (١٩٧٨٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٥٢).

[٣] رواه النسائي (١٥٧٨)، وصححه الألباني.

[٤] رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٤)، وقال الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (١٣٣٤): ضعيف جدا.

[٥] رواه الدارمي (٢١٤)، وصححه الألباني في المشكاة (٧٢).

[٦] رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٨٣)، روي مرفوعًا ولا يصح.

فمن كان قبلنا ابتدعوا وانحرفوا واتبعوا الأهواء فضلوا وهلكوا.

٣- أنّ النبي ﷺ عيّن لنا بعض أهل البدع بأعيانهم وأوصافهم كالخوارج، قال ﷺ: «**يَخْرُجُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلاَتَكُمْ مَعَ صَلاَتِهِمْ، فَيَقْرَؤونَ الْقُرْآنَ، لاَ يُجَاوِزُ حُلُوقَهُمْ (أَو حَنَاجِرَهُمْ) يَمْرُقُونَ مِنَ الدّينِ مُرُوقَ السّهْمِ مِنَ الرّمِيّةِ**»[١].

وقال ﷺ: «**الْخَوَارِجُ كِلابُ أَهْلِ النَّارِ**»[٢].

وجعلهم النبي ﷺ ببدعتهم مارقين من الدين مع أن لهم صلاةً وعبادة.

وكذلك نص النبي ﷺ على القدرية فقال: «**الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّة**»[٣].

٤- أنّ الآثار تتابعت في ذكر أربعة من الفرق، وهي أصول الفرق التي تفرعت وتفرقت عنها باقي الفرق، قال ابن اسباط وابن المبارك رحمهما الله: «**أصول الفرق أربعة: الروافض والخوارج والقدرية والمرجئة**»[٤].

قال أبو عمرو الداني:

والبدع الأصول فاعلم أربعه … قول الشراة مذهب ما أفظعه

أخسس بهم وما به قد جاؤوا … والرفض والقدر والإرجاء

---

[١] رواه البخاري (٦٦٣١)، ومسلم (١٠٦٤).

[٢] رواه ابن ماجه (١٧٣)، وصححه الألباني.

[٣] رواه أبو داود (٤٦٩١)، وحسنه الألباني.

[٤] ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/ ٣٥٠).

٥- **التعريف بالفرق التي ذكرها المؤلف.**

أولاً الخوارج: أول خروجهم كعصبة في خلافة عثمان رضي الله عنه، ثم خرجوا على عليٍّ رضي الله عنه في فرقة، وسموا الحرورية، وعقيدتهم: التبرؤ من عثمان وعلي ومعاوية رضي الله عنهم وتكفير المسلمين بالذنوب، والخروج على ولاة أمر المسلمين، وهم فرق عديدة كالأزارقة والنجدات، ومن الخوارج المعاصرين الإخوان المسلمين والدواعش.

ثانيًا القدرية: أول خروجهم في البصرة، أظهر قولَهم معبدُ الجهني في أواخر عصر الصحابة رضي الله عنهم، وهم على فرقتين:

- **غلاة:** وهم الذين ينكرون علم الله بالأشياء و كتابته لها، وهذا كفر بالاتفاق.

- **وغير غلاة:** و هم الذين ينكرون أن الله خلق أفعال العباد ومشيئته، وهم مبتدعة.

ثالثا الروافض: أول ظهور بدعتهم على يد عبد الله بن سبأ في عهد علي رضي الله عنه، عقيدتهم: الغلو في أهل البيت حتى ادعوا فيهم الألوهية، وتكفير جميع الصحابة إلا نفرًا، يزعمون أن القرآن محرف، ويعتقدون أن الكذب دين، وهم في صفات الله مشبهة.

رابعًا المرجئة: خرجت في أواخر عهد الصحابة في الكوفة وهم يعتقدون أن الأعمال ليست من الإيمان وهم فرق كثيرة ترجع إلى:

أ- من يقول: إن الإيمان هو المعرفة، وهم الجهمية.

ب- من يقول: الإيمان فقط باللسان، وهم الكرامية.

ث- وأخفهم من يقول الإيمان: تصديق وقول، والعمل ليس من الإيمان.

٦- أن افتراق أمّة محمّد ﷺ ثابت بالنص، وأطبق عليه العلماء، وقد حذر النبي ﷺ من الافتراق، قال رسول الله ﷺ: «**تَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلاَّ فِرْقَةً وَاحِدَةً، قيل: يَا رَسُولَ الله مَنْهم؟ قَالَ: الْجَمَاعَةُ**»[١].

وفي رواية: «**مَنْ كَانَ عَلَى مَا أَنَا عَليه اليَوم وَأَصْحَابي**»[٢].

فجميع هذه الفرق هالكة يجب الحذر منها إلا الجماعة، وهي جماعة أديان وأبدان، أي: مجتمعين على عقيدة واحدة التي كان عليه النبي ﷺ، والصحابة رضي الله عنهم وسار عليها الأئمة، وبالأبدان على ولاة أمرهم.

---

[١] رواه أبو داود (٤٥٩٦)، وابن ماجه (٣٩٩٢)، وصححه الألباني.

[٢] رواه الطبراني في المعجم الكبير (٧٦٥٩).

٤- فمما اجتمعت عليه الأئمة من أمور الديانة، ومن السنن التي خلافها بدعة وضلالة: أنّ الله تبارك وتعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى، لم يزل بجميع صفاته، وهو سبحانه وتعالى موصوف بأنّ له علما وقدرة ومشيئة، لم يزل بجميع صفاته وأسمائه، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، أحاط علمًا بجميع ما برأ قبل كونه وفطر الأشياء بإرادته، وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[يس: ٨٢].

الشرح

تتضمن هذه الفقرة ما يلي:

١- أنّ هذه العقيدة التي سيذكرها المؤلف ممّا أجمعت عليها الأئمة، قال ابن المبارك رحمه الله لما ذكر مثل هذه العقيدة: «أدركت الناس بمكة والمدينة والكوفة والبصرة وبمصر وخراسان...». ثم ذكر عقيدة أهل السنة[١].

٢- أنّ الواجب التزام هذه العقيدة التي دل عليها النص والإجماع؛ لأنّ مخالفتها بدعة، وكل بدعة ضلالة.

٣- أنّ من العقيدة الواجب اعتقادها: أنّ لله تعالى الأسماء الحسنى، أي: البالغة في الحسن غايتها، ليس في أسمائه جل وعلا نقصٌ بوجه من الوجوه، قال عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[الأعراف: ١٨٠].

[١] مختصر الحجة للمقدسي (٢/ ٣٥٧).

٤- أنّ من العقيدة الواجب اعتقادها: أنّ لله تعالى الصفات العلى، وهي الصفات الكاملة من كل وجهٍ ليس فيها نقص بوجهٍ من الوجوه، قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[النحل: ٦٠]، أي: الوصف الأكمل.

٥- أنّ ممّا يجب اعتقاده في أسماء الله وصفاته أنّها أزلية، أي: أولية لا بداية لها، فالله متصفٌ بصفات الكمال أزلاً وأبدًا، قال ﷻ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[الحديد: ٣].

٦- أنّ ممّا يجب اعتقاده أنّ الله موصوف بالعلم، فمن أسمائه العليم، وهو موصوف بالعلم، قال ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[البقرة: ١٣٧]، وقال ﷻ: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾[الأنعام: ٥٩]، فالله أحاط علمًا بجميع ما خلق وبرأ قبل خلقه.

٧- أنّ مما يجب اعتقاده أن الله موصوفٌ بالقدرة، ومن أسمائه القدير، قال ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾[الروم: ٥٤].

٨- أنّ ممّا يجب اعتقاده أن الله موصوفٌ بإرادة ومشيئة، قال ﷻ: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة: ٢٨٤]، وقال: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾[الأنعام: ١٢٥]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[المائدة: ١].

٩- أن جميع هذا الخلق الله أراده وخلقه، قال ﷻ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[يس: ٨٢]، فهو سبحانه الخالق: ﴿ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[الزمر: ٦٢].

فيستحيل عقلاً أن يكون هذا الكون مخلوقٌ صدفةً أو خلق نفسه، ويستحيل أن يكون الإنسان الضعيف خلقه، قال ﷻ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الطور].

٥- وأنّ كلامه صفة من صفاته ليس بمخلوق فيبيد، ولا صفة لمخلوق فينفد، وأنّ الله ﷻ كلم موسى بذاته وأسمعه كلامه لا كلامًا قام في غيره، وأنه يسمع ويرى ويقبض ويبسط، وأن يديه مبسوطتان، والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينه، وأنّ يديه غير نعمتيه في ذلك، وفي قوله سبحانه: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وأنه يجئ يوم القيامة بعد أن لم يكن جائيًا ﴿وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، لعرض الأمم وحسابها وعقوبتها وثوابها، فيغفر لمن يشاء من المذنبين، ويعذب منهم من يشاء، وأنه يرضى عن الطائعين ويحب التوابين ويسخط على من كفر به ويغضب فلا يقوم شيء لغضبه، وأنه فوق سماواته على عرشه دون أرضه، وأنّه في كل مكان بعلمه، وأن له سبحانه كرسيًا: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وبما جاءت به الأحاديث أنّ الله سبحانه يضع كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء.

وقال مجاهد: كانوا يقولون: ما السماوات والأرض في الكرسي إلا في كحلقة[١] في فلاة.

الشرح

ممّا تضمنته هذه الفقرة:

١- أنّه ممّا يجب اعتقاده أنّ من صفات الله الكلام، فهو متكلم بكلام حقيقي بصوت وحرف، وأنّ كلام الله صفة له، ليس بمخلوق فيبيد، أي: يذهب وينقطع،

[١] في طبعة أبي الأجفان: «حلقة ملقاة».

ولا صفة لمخلوق فينفد، أي: ينتهي، قال ﷻ: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان: ٢٧].

قال ابن عبد البر رحمه الله: «وفي الاستعاذة بكلمات الله أبين دليل على أنّ كلام الله منه تبارك اسمه وصفة من صفاته ليس بمخلوق؛ لأنّه محال أن يستعاذ بمخلوق، وعلى هذا جماعة أهل السنة والحمد لله»[١].

وأكّد رحمه الله تقرير هذه العقيدة تأكيدًا فبين أن الله ﷻ بذاته كلّم موسى عليه السلام، وأنّ موسى سمع كلام الله حقيقةً بأذنيه التي في رأسه لا كلامًا قام في غيره كشجرة أو الهواء، قال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾[النساء: ١٦٤]، وقال: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[القصص: ٣٠].

٢- وممّا يجب اعتقاده أنّ من أسماء الله السميع، وأنّه متصف بالسمع، فهو سبحانه يسمع جميع الأصوات في كل الأوقات على اختلاف اللغات ولا يختلط عليه صوت عن صوت، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[الأنفال: ٦١]، قالت عائشة رضي الله عنها: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ**»[٢].

٣- أنّه مما يجب اعتقاده أن من صفات الله أنّه يرى فهو ﷻ يرى كل شيء في كل الأوقات لا يخفى عليه شيء مهما دقّ وصغر، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [العلق: ١٤]، وقال أيضا: ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[طه: ٤٦].

---

[١] التمهيد (١٦/ ٢٥٩).

[٢] رواه البخاري معلقا (٧٣٨٥)، ورواه موصولا النسائي (٣٤٦٠)، وابن ماجه (١٨٨).

٤- وممّا يجب اعتقاده أنّ لله ﷻ يدان مبسوطتان يقبض بهما ويبسط، وأنه لا يجوز أن تفسر بالنعمة، قال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾[ص: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾[المائدة: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[الزمر: ٦٧].

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله: «وأنّ له يدين بلا كيف كما قال سبحانه: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾[ص: ٧٥]، وكما قال: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾[المائدة: ٦٤]»[١] .

وهذا نصٌّ في الرد على المعطلة الذين يؤولون صفه اليد بالنعمة.

٥- أنّه مما يجب اعتقاده أنّ الله تعالى يجيء يوم القيامة لحساب الأمم، فمن صفاته المجيء يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾[الفجر: ٢٢].

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله: « ونقول إنّ الله ﷻ يجيء يوم القيامة كما قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾[الفجر: ٢٢]»[٢] ، وفي قول القيرواني: «بعد أن لم يكن جائيًا» تأكيد على أن المجيء صفة فعلية.

٦- أنّه مما يجب اعتقاده إثبات صفة الرضا لله، وأنه يرضى عن الطائعين، قال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ﴾[المائدة: ١١٩]، وقال: ﴿فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾[التوبة: ٩٦].

---

[١] الإبانة (٢١٤).

[٢] الإبانة (٢٤٩).

٧- أنّه ممّا يجب اعتقاده إثبات صفة المحبة لله تعالى، وأنّ الله يحب التوابين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾[البقرة: ٢٢٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[البقرة: ١٩٥].

٨- أنّه مما يجب اعتقاده إثبات صفة السخط لله تعالى، وأنّه يسخط على من كفر به، قال ﷻ: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦٢﴾[آل عمران].

٩- أنه ممّا يجب اعتقاده إثبات صفة الغضب لله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا﴾[النساء: ٩٣]، وقال رسول الله ﷺ: «إنّ الله لَمَّا خَلَقَ الخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فوقَ عَرْشِه: إنَّ رَحْمَتِي سَبَقَت غَضَبي»[١].

١٠- أنّه يجب اعتقاده علو الله على خلقه، وأنّه عالٍ على عرشه بذاته، قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾[النحل: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[طه: ٥].

وحديث الجارية لمّا قال لها رسول الله ﷺ: «أَيْنَ اللهُ؟»، قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ ﷺ: «مَنْ أَنا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ ﷺ: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»[٢].

وسئل الإمام مالك رحمه الله عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[طه: ٥]. كيف استوى؟ قال: «الاستواء معلومٌ، والكيف مجهولٌ، والإيمان به واجبٌ، والسؤال عنه بدعةٌ»[٣].

---

[١] رواه البخاري (٧٤٢٢) واللفظ له، ومسلم (٢٧٥١).

[٢] رواه مسلم (٥٣٧).

[٣] أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (١٠٤)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٦٦٤)، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٥١).

١١- أنّ الله ﷻ مع علوه فهو أحاط كلّ مكان بعلمه، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[الحديد: ٤].

قال مالك رحمه الله: **«الله في السّماء، وعلمه في كل مكان»**[١].

١٢- أنّه يجب أن يعتقد أن لله تعالى كرسي، والكرسي هو موضع قدم الرب جلّ وعلا كما صح عن ابن عباس رضي الله عنهما[٢]، وأنّ السموات السبع بالنسبة للكرسي كحلقة ألقيت في فلاة، قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[البقرة: ٢٥٥].

---

[١] التمهيد (٧/ ١٣٨).

[٢] رواه ابن أبي شيبة في العرش (٦١)، والدارقطني في الصفات (٣٦)، وقال الألباني في مختصر العلو (ص١٠٢): «إسناده صحيح، رجاله كلهم ثقات».

٦- وأنّ الله سبحانه يراه أولياؤه في المعاد بأبصار وجوههم لا يضامّون في رؤيته، كما قال ﷻ في كتابه وعلى لسان نبيه، قال الرسول ﷺ في قول الله سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾[يونس: ٢٦] قال: الحسنى: الجنّة، والزيادة: النظر إلى وجه الله تعالى[١] ، وأنه سبحانه يكلم العبد يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان.

وأن الجنّة والنار، قد خُلقتا، أعدت الجنة للمتقين، والنار للكافرين لا تفنيان ولا تبيدان.

الشرح

في هذه الفقرة ما يلي:

١- أنّ عقيدة أهل السنة والجماعة أنّ المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة في عرصات يوم القيامة وإذا دخلوا الجنة، وهذه العقيدة دل عليها:

أولًا: القرآن.

قال تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾[القيامة]، وقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾[يونس: ٢٦] فسر النّبي ﷺ الزيادة برؤية الله في الجنة.

ثانيا: السنّة.

قال ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»[٢].

[١] رواه مسلم (١٨١).

[٢] رواه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

ثالثا: الإجماع.

كما حكاه ابن أبي زيد رحمه الله، وكذلك حكاه أبو العباس القرطبي رحمه الله فقال:
«ومذهب أهل السنة بأجمعهم: أنّ الله تعالى ينظر إليه المؤمنون في الآخرة بأبصارهم، كما نطق بذلك الكتاب، وأجمع عليه سلف الأمة»[١].

٢- أنّ من عقيدة أهل السنة أن الله يكلمهم يوم القيامة ليس بينه وبين الله ترجمان، قال صلى الله عليه وسلم: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ**»[٢].

٣- أنّ من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بأنّ الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن لا تفنيان، قال تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران: ١٣٣]، وفي النار قال: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[البقرة: ٢٤]، والشيء المعدُّ لا يكون إلا موجودًا، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ**»[٣]، وقال الله في الجنة وأهلها: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾[النساء: ٥٧]، وقال في النار وأهلها: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٦٥)﴾[الأحزاب].

[١] المفهم (١/ ٤١٣).

[٢] رواه البخاري (٦٥٣٩)، و مسلم (١٠١٦).

[٣] رواه البخاري (١٣٧٩)، و مسلم (٢٨٦٦).

٧- والإيمان بالقدر خيره وشره، وكل ذلك قد قدره ربنا وأحصاه علمه، وأن مقادير الأمور بيده، ومصدرها عن قضائه تفضل على من أطاعه فوفقه وحبب الإيمان إليه فيسره له وشرح له صدره فهداه، ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾[الإسراء: ٩٧]، وخذل من عصاه وكفر به فأسلمه ويسره لذلك فحجبه وأضله، ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[الكهف: ١٧]، وكل ينتهي إلى سابق علمه لا محيص لأحد عنه.

الشرح

تتضمن هذه الفقرة ما يلي:

١- أن من أصول العقيدة الإيمان بالقدر، فهو ركن من أركان الإيمان، قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رضي الله عنه لابْنِهِ: «يَا بُنَيّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « **إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**». يَا بني، إنّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « **مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي**»[١].

٢- أن جميع ما في الكون من خلقٍ وأفعالٍ وصفات من خير وشر فهي بقدر الله وقضائه، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[الفرقان: ٢].

[١] رواه أبو داود (٤٧٠٠)، وصححه الألباني.

٣- أنّ الإيمان بالقدر يتضمن أربعة مراتب:

الأولى: علم الله بما كان وما يكون، وأنه لا يخرج شيء عن علمه جَلَّ وَعَلَا.

الثانية: كتابة الله في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء بسابق علمه.

الثالثة: مشيئة الله تعالى، وأنه ما شاءه كان، وما لم يشأ لم يكن.

الرابعة: خلق الله تعالى لجميع ما شاءه من أعيان وأوصاف وخير وشر، فكل ما سوى الله مخلوق.

٤- أنّ من شاء الله هدايته إنما ذلك بفضل الله وعلمه وحكمته، فييسر الله العبد لطاعته، ومن شاء الله إضلاله إنما ذلك بعدل الله وعلمه وحكمته، فييسره إلى طريق الشقاوة مع قيام الحجة وتوفر الأدلة، قال تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[آل عمران: ٧٤]، وقال: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ﴾[الأنعام: ٣٩]، وقال: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[الأنعام: ١٤٩]، وقال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[الإنسان: ٣].

٨- وأن الإيمان قولٌ باللسان، وإخلاصٌ بالقلب، وعملٌ بالجوارح، ويزيد بالطاعة وينقص بالمعصية نقصًا عن حقائق الكمال لا مُحبطًا للإيمان، ولا قول إلا بعمل، ولا قول وعمل إلا بنية، ولا قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة، وأنّه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب، وإن كان كبيرًا، ولا يُحبط الإيمان غيرُ الشرك بالله كما قال سبحانه: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[الزمر: ٦٥]، وأنّ الله تبارك وتعالى لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.

الشرح

تتضمن هذه الفقرة ما يلي:

١- أن من عقيدة أهل السنّة المجمع عليها أنّ الإيمان قولٌ باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾[البقرة: ١٤٣]، يعني: صلاتكم، والصلاة جامعة للاعتقاد والقول والعمل.

وقال رسول الله ﷺ: **«الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ أَوْ سَبْعُونَ بَابًا، أَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَأَرْفَعُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»**[١].

ومن أدلة زيادته ونقصانه قوله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾[الفتح: ٤].

وقال رسول الله ﷺ: **«مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»**[٢].

[١] رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

[٢] رواه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٧٩).

٢- أنّ من عقيدة أهل السنة أنّه لا قول إلا بعمل، ولا عمل إلا بنية، ولا قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة، أي: أنّه من اعتقد الدين لابد له من قول يدخله فيه، وأنّ من اعتقد وقال لابد له من عملٍ يصدق إيمانه، وهذه الأعمال والأقوال لابد لها حتى تكون صحيحةً من نية خالصة وموافقة لسنة رسول الله ﷺ.

عن سعيد بن جبير رحمه الله قال: «**لَا يُقْبَلُ قَوْلٌ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا يُقْبَلُ عَمَلٌ إِلَّا بِقَوْلٍ، وَلَا يُقْبَلُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلَا يُقْبَلُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ مُوَافِقَةٍ لِلسُّنَّةِ**»[١].

قال الحميدي رحمه الله: «وأنّ الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ولا ينفع قول إلا بعمل، ولا عمل و قول إلا بنية، ولا قول وعمل بنية إلا بسنّة»[٢].

٣- أنّ النقص في الإيمان بالمعاصي التي هي دون الكفر الأكبر هو نقص عن حقائق الكمال ينقص كمال الإيمان الواجب لا أصل الإيمان المحبط للعمل، قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾[الحجرات: ٩].

قال رسول الله ﷺ: «**قالَ لي جبريلُ: من ماتَ من أمَّتِك لا يشرِك باللهِ شيئًا دخلَ الجنَّةَ ولَم يدخلِ النّارَ ، قلتُ: وإن زَنى وإن سرقَ ،قال: وإن زنَى وإن سرقَ**»[٣].

٤- الحذر من تكفير المسلمين بسبب وقوعهم في الذنوب ما دون الشرك والكفر، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾[الحجرات: ١١].

قال بعض السلف: هو قول الرجل لأخيه يا كافر[٤].

---

[١] رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢٠).

[٢] أصول السنة (ص٣٧-٣٨).

[٣] رواه البخاري (٣٢٢٢)، ومسلم (٩٤).

[٤] ينظر: جامع البيان للطبري (٢٢/ ٣٠٠)، ومعالم التنزيل للبغوي (٧/ ٣٤٣).

وقال رسول الله ﷺ: «**مَن قال لأخيهِ: يا كافِرُ، فقد باءَ بها أحَدُهُما**»[١].

ولا بد هنا من التنبه إلى عدة أمور:

أ- أن التكفير حق شرعي لا مجال للعقل ولا للرأي فيه.

ب- التكفير بدون حق سببٌ لتفريق الأمة وفسادها.

ج- التكفير بدون حق سببٌ لتقاتل الأمة وسفك دمائها.

ث- مسألة التكفير مسألة كبيرة لا يخوض فيها أي أحد؛ لأنّها باب زلل، قال القرطبي رحمه الله: «باب التكفير باب خطير، أقدم عليه كثير من الناس فسقطوا، وتوقف فيه الفحول فسلموا»[٢].

٥- خطر الشرك وأنّه محبط للأعمال، مخلد في النّار، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[الزمر: ٦٥]، وقال أيضًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[النساء: ٤٨].

والشرك المحبط المخلد هو الشرك الأكبر، كدعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، أو السجود لغيره، أو اعتقاد دين حق سوى الإسلام وغير ذلك، وهذا باب أجمع العلماء عليه، ولذا لم تخلو مصنفاتهم من التحذير منها وصنفوا في كتب الفقه بابا مستقلا في الردة وأحكامها.

---

[١] رواه البخاري (٦١٠٣)، ومسلم (٦٠).

[٢] المفهم (٣/ ١١١).

ومن المختصرات المفيدة في هذا الباب القوانين الفقهية لابن جزي: «لَا خلاف فِي تَكْفِير من نفى الربوبية أَو الوحدانية أَو عبد مَعَ الله غَيره أَو كَانَ على دين الْيَهُود أَو النَّصَارَى وَالْمَجُوس أَو الصابئين أَو قَالَ بالحلول أَو التناسخ أَو اعْتقد أَن الله غير حَيّ أَو غير عليم أَو نفى عَنهُ صفة من صِفَاته أَو قَالَ صنع الْعَالم غَيره أَو قَالَ هُوَ متولد عَن شَيْء أَو ادّعى مجالسة الله حَقِيقَة أَو العروج إِلَيْهِ أَو قَالَ بقدم الْعَالم أَو شكّ فِي ذَلِك كُله أَو قَالَ بنبوة أحد بعد سيدنَا مُحَمَّد ﷺ أَو جوز الْكَذِب على الْأَنْبِيَاء عليهم السلام أَو قَالَ بتخصيص الرسَالَة بالعرب أَو ادّعى أَنه يُوحى إِلَيْهِ أَو يدْخل الْجنَّة فِي الدُّنْيَا حَقِيقَة أَو كفر جَمِيع الصَّحَابَة رضي الله عنهم أَو جحد شَيْئا مِمَّا يعلم من الدّين ضَرُورَة أَو سعى إِلَى الْكَنَائِس بزِي النَّصَارَى أَو قَالَ بِسُقُوط الْعِبَادَة عَن بعض الْأَوْلِيَاء أَو جحد حرفا فَأَكْثر من الْقُرْآن أَو زَاده أَو غَيره أَو قَالَ لَيْسَ بمعجز أَو قَالَ الثَّوَاب وَالْعِقَاب معنويان أَو قَالَ الْأَئِمَّة أفضل من الْأَنْبِيَاء وَمن أكره على الْكفْر وَقَلبه مطمئن بِالْإِيمَان فَلَا شَيْء عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَة»[١].

[١] القوانين الفقهية (ص٣٨٢)

٩- وأن على العباد حفظة يكتبون أعمالهم، كما قال ربنا تبارك وتعالى في كتابه العزيز، ولا يسقط شيء من ذلك عن علمه، وأن ملك الموت يقبض الأرواح كلها بإذن الله كما قال سبحانه: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾[السجدة]، وأن الخلق ميتون بآجالهم: فأرواح السعادة باقية ناعمة إلى يوم يبعثون، وأرواح أهل الشقاء باقية في سجين معذبة إلى يوم الدين، وأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، وأن عذاب القبر حق، وأن المؤمنين يفتنون في قبورهم ويضغطون ويسألون، ويُثبت الله من أحب تثبيته، وأنه يُنفخ في الصور فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى، فإذا هم قيام ينظرون كما بدأهم يعودون عراة حفاة غرلاً، وأن التي أطاعت وعصت هي التي تبعث يوم القيامة لتُجازى، والجلود التي كانت في الدنيا والألسنة والأيدي والأرجل هي التي تشهد عليهم يوم القيامة على من يشهد عليهم منهم.

الشرح

تتضمن هذه الفقرة ما يلي:

١- الإيمان بالملائكة، وهو ركن من أركان الإيمان، قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[النساء: ١٣٦].

والإيمان بالملائكة يكون جملةً وتفصيلاً، فما علمناه من أسمائهم وصفاتهم وأعمالهم وجب الإيمان به على سبيل التفصيل، وما لم نعلمه من ذلك آمنا بهم

على سبيل الإجمال، ومن التفصيل أنّ المؤلف ذكر صنفين من الملائكة:

الأول: الملائكة الحفظة الكاتبين لأعمال العباد، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١﴾[الانفطار: ١٠-١١]، وأنّ ما يكتبه الملائكة لا يسقط عن علم الله ﷻ.

الصنف الثاني: ملك الموت الذي وُكّل بقبض الأرواح كما قال تعالى: ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ﴾[السجدة: ١١].

٢- أن الموت حقٌّ لابد منه ولكل أجل مسمّى، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ۝٣٤﴾[الأعراف: ٣٤].

٣- وأنّ الشهداء أحياء عند الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ۝١٦٩﴾[آل عمران: ١٦٩].

٤- الإيمان بنعيم القبر وعذابه، وأنّ أرواح السعداء تنعم في قبورها، وأرواح الأشقياء في سجين معذبة، قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾[غافر: ٤٦]، وقال رسول الله ﷺ: «**عذابُ القبْرِ حَقٌّ**»[١]، وقال ﷺ: «**نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرُدَّهَا اللهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[٢].

والنعيم والعذاب على النفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة.

---

[١] رواه البخاري معلقـًا (١٣٧٢)، والنسائي موصولًا (١٣٠٨).

[٢] رواه ابن حبان في صحيحه (٤٦٥٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٧٣).

٥- مما يجب الإيمان به فتنه القبر، وهي سؤال الملكين العبد عن ربه ودينه ونبيه، قال رسول الله ﷺ: «وَإِنَّهُ قَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُور»[١]، وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أُقْعِدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أُتِيَ، ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾[إبراهيم]»[٢].

٦- الإيمان بالنفخ في الصور، وهو أن إسرافيل ينفخ في الصور -وهو قرن- ينفخ فيه نفخة فيصعقون، ثم نفخة ثانية فيخرجون من قبورهم، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾[النمل]، وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾[الزمر]، وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾[يس].

٧- الإيمان بالبعث، وأن الناس تعاد أرواحهم في أجسادهم، فيخرجون من قبورهم، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾[الحج: ٧]، وقال أيضا: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[التغابن: ٧].

٨- الإيمان بأن الناس تحشر وتجمع على صعيدٍ واحدٍ للقضاء والحساب حفاةً عراةً غرلاً، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾[الأنبياء: ١٠٤].

---

[١] رواه البخاري (٩٢٢)، ومسلم (٩٠٥).

[٢] رواه البخاري (١٣٦٩).

ومن الناس من يحشر على وجهه وهم الكفار، ومنهم من يحشر كأمثال الذر وهم المتكبرون، وأما المتقون فيحشرون في غاية الإكرام، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥].

٩- أنّ الألسن والجلود والأيدي والأرجل تشهدُ على العبد، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [فصلت].

١٠- وتنصب الموازين لوزن أعمال العباد، فأفلح من ثقلت موازينه، وخاب وخسر من خفت موازينه، ويُؤتون صحائفهم: فمن أوتي كتابه بيمينه حوسب حسابًا يسيرًا، ومن أوتي كتابه بشماله فأولئك يصلون سعيرًا، وأن الصراط جسر مورود يجوزُه العباد بقدر أعمالهم، فناجون متفاوتون في سرعة النجاة عليه من نار جهنم، وقوم أوثقتهم فيها أعمالهم، وأنه يخرج من النار من في قلبه شيء من الإيمان.

الشرح

تتضمن هذه الفقرة ما يلي:

١- أن من عقيدة أهل السنة الإيمان بالميزان، وأنه ميزانٌ حقيقي ذو كفتين يوضع يوم القيامة لوزن الأعمال، والأرجح أنّه ميزان واحد، فمن خفت موازينه خاب وخسر، ومن ثقلت موازينه أفلح ونجا.

قال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف].

وقال رسول الله ﷺ: «**يُوضَعُ المِيزانُ يَومَ القِيامَةِ، فَلو وُزِنَ فيه السّمَواتُ والأَرْضُ لَوَسِعَت**»[١].

[١] رواه الحاكم (٨٧٣٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٤١).

٢- أنّ من عقيدة أهل السنة الإيمان بصحائف الأعمال، فيؤتى الناس صحائف أعمالهم، فمنهم من يعطه بيمينه فيحاسب حسابًا يسيرًا، ومنهم من يعطه بشماله فسوف يصلى سعيرًا، قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾[الإسراء: ١٣]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾[الانشقاق] الآيات.

٣- أنّ من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالصراط، وهو جسرٌ منصوبٌ على جهنم يُعبر عليه للوصول إلى الجنة، وهذا الجسر ما منّا إلا سيرده ويعبر عليه، قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾[مريم: ٧١].

وأنّ الناس يجاوزونه على قدر أعمالهم، متفاوتون في سرعه النجاة، قال فيه رسول الله ﷺ: «**مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ**[١] **لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ**[٢]**، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشَدَةً فِي الْحَقِّ، قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ**»[٣].

٤- أنّ من عقيدة أهل السنة الإيمان بأن الله يخرج بفضله من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان، وذلك بعد مجاوزة الصراط، قال رسول الله ﷺ: «**وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا، فِي إِخْوَانِهِمْ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا، كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ**

---

[١] شوكة من حديد عريضة متسعة.

[٢] منعطفة معوجة.

[٣] رواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٢).

مَعَنَا، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: اذْهَبُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، وَيُحَرِّمُ اللهُ صُوَرَهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ، وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا»[١].

---

[١] رواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٢).

١١- وأن الشفاعة لأهل الكبائر من المؤمنين، ويخرج من النار بشفاعة رسول الله ﷺ قوم من أمته بعد أن صاروا حممًا فيطرحون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، والإيمان بحوض رسول الله ﷺ ترده أمته لا يظمأ من شرب منه، ويُذاد من غير وبدل.

الشرح

تتضمن هذه الفقرة عدة أمور:

١- أن من عقيدة أهل السنة الإيمان أن الشفاعة حاصلةٌ لأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «**شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**»[١]، وقال رسول الله ﷺ: «**يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، يُسَمَّوْنَ الجَهَنَّمِيِّينَ**»[٢]، وكذلك يشفع فيهم الملائكة والمؤمنون، وكما قال رسول الله ﷺ: «**فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالمَلَائِكَةُ وَالمُؤْمِنُونَ**».

٢- أن من عقيدة أهل السنة أن الله يخرج قومًا من النار بفضله وكرمه، قال رسول الله ﷺ: «**فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**»[٣]، وفي حديث: «**يَقُولُ اللهُ: مَنْ كَانَ**

[١] رواه أبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥)، وصححه الألباني.

[٢] رواه البخاري (٦٥٦٦).

[٣] رواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم -واللفظ له- (١٨٣).

فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيَخْرُجُونَ قَدْ امْتُحِشُوا وَعَادُوا حُمَمًا»[١]، وقال رسول الله ﷺ: «**يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، يُسَمَّوْنَ الجَهَنَّمِيِّينَ**»[٢].

٣- أن من عقيدة أهل السنة الإيمان بحوض النبي ﷺ وهو مجمع الماء الذي يكون يوم القيامة، قال رسول الله ﷺ: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلاَ يَظْمَأُ أَبَدًا**»[٣].

[١] رواه البخاري (٦٥٦٠).

[٢] رواه البخاري (٦٥٦٦).

[٣] رواه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).

١٢- والإيمان بما جاء من خبر الإسراء بالنبي ﷺ إلى السماوات[١] على ما صحت به الروايات، وأنه رأى من آيات ربه الكبرى، وبما ثبت من خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام وقتله إياه، وبالآيات التي تكون بين يدي الساعة من طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وغير ذلك مما صحت به الروايات.

الشرح

تتضمن هذه الفقرة ما يلي:

١- أن من عقيدة أهل السنة الإيمان بما جاء من خبر الإسراء، وهو السير ليلا إلى بيت المقدس، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾[الإسراء: ١]، ثم العروج إلى السموات، وأنه رأى من آيات ربه الكبرى على ما صحت به الروايات، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾[النجم: ١٨].

وكان الإسراء والمعراج بعد البعثة في إحدى وخمسين من عمره، وأن الإسراء به والمعراج كان بجسده وروحه، فخرج به جبريل حتى بلغ سدرة المنتهى في السماء السابعة، ورأى الأنبياء آدم وعيسى وموسى وهارون وإبراهيم ويوسف، وكلمه ربه، وفرضت عليه الصلوات.

---

[١] ولعل المؤلف تجوز وتوسع في العبارة، فالإسراء هو السير ليلا من مكة إلى بيت المقدس، والعروج هو الصعود إلى السموات.

٢- أن من عقيدة أهل السنة الإيمان بعلامات الساعة الكبرى على ما صحت به الروايات، قال تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ [محمد: ١٨].

وعلامات الساعة الكبرى هي آياتٌ عظيمة متتابعة غير معتادة تظهر قرب الساعة وهي كما جاء في النص عشر آيات، قال رسول الله ﷺ: «**لَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ قَبْلَهَا عَشْرُ آيَاتٍ: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ، وَخُرُوجُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَالدَّجَّالُ، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَالدُّخَانُ، وَثَلاثُ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ تَخْرُجُ نَارٌ مِنَ الْيَمَنِ مِنْ قَعْرِ عَدَنَ تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى الْمَحْشَرِ**»[١].

[١] رواه مسلم (٢٩٠١)، وأبو داود (٤٣١١) -واللفظ لأبي داود-.

١٣- ونُصدق بما جاءنا عن الله ﷻ في كتابه، وبما ثبت عن رسول الله ﷺ من أخباره يُوجب العمل بمحكمه ونقر بنص مشكِلِه ومتشابهه، ونكل ما غاب عنا من حقيقة تفسيره إلى الله سبحانه، والله يعلم تأويل المتشابه من كتابه: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، وقال بعض الناس: «الراسخون يعلمون مشكله»، ولكن القول الأول قول أهل المدينة، وعليه يدل الكتاب.

الشرح

هذه الفقرة تتضمن ما يلي:

١- أن من عقيدة أهل السنة التصديق بجميع ما جاء عن الله في كتابه، وجميع ما جاء عن رسوله ﷺ في أخباره وسنته الصحيحة سواء كانت متواترة أم آحاد، وذلك لأن ما جاء من عند الله ورسوله ﷺ حقٌّ وصدق لا ريب فيه، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾[البقرة: ١٧٦]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة: ٢].

وذمّ الله تعالى من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض فقال: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾[البقرة: ٨٥] ، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[آل عمران: ١٩].

والسنة وحيٌ من الله، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، وقال رسول الله ﷺ: «ألا إنّي أوتيتُ الكِتابَ ومِثْلهُ مَعَهُ»[١]، فالتصديق بما أخبر الله به، وبما أخبر به الرسول إيمان واجب وأصل عظيم من أصول الدين.

٢- وجوب العمل بالمحكم مما جاء عن الله ورسوله سواءً كان الخبر متواترًا أو آحادًا إذا صح سنده.

٣- أن نصوص الكتاب والسنة على قسمين: محكم ومتشابه، وهذا التقسيم على أنواع:

أ- آياتٌ دلت على أن القرآن كلّه محكم فمعنى الإحكام هنا الإتقان، كقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[هود: ١].

ب- آيات دلت على أن القرآن كله متشابه، ومعنى التشابه هنا أنه يشبه بعضه بعضًا في الإتقان والحسن، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾[الزمر: ٢٣].

ت- آياتٌ دلت على أن بعض القرآن محكمٌ وبعضه متشابه، كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، فمعنى المحكم هنا هو الواضح لكل الناس.

وأما المتشابه فله عدة معاني منها:

أ- ما خفي علمه على غير الراسخين في العلم بناءً على أن الواو في قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾[آل عمران: ٧] عاطفةٌ، وهذا ما حكاه ابن أبي زيد فقال: «وقال بعض الناس: الراسخون يعلمون مشكله»، وهذا قول جماعة من السلف[٢].

---

[١] رواه أبو داود (٤٦٠٤)، وصححه الألباني.

[٢] ينظر: تفسير الطبري (٦/ ١٧٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٥٩٩)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/ ٣٢٤).

ب- ما استأثر الله بعلمه فلا يعلم حقيقته أحد كالحروف المقطعة، وحقيقة كيفية صفاته وذاته، وحقيقة ما في اليوم الآخر وهذا بناءً على أن الواو استئنافية، وهذا قول الجمهور[١]، وهو اختيار ابن أبي زيد.

فهذا المتشابه الواجب رده إلى المحكم ليزول الإشكال، ونكل ما غاب عنا من حقيقة تفسيره إلى الله.

فمتتبع المتشابه مريدٌ للفتنة، قلبه فيه زيغ، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ﴾ [آل عمران: ٧].

قال رسول الله ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ»[٢].

وأما موقف أهل الإيمان فكما قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

---

[١] ينظر: جامع البيان للطبري (٦/ ١٧٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٥٩٩)، ومعالم التنزيل للبغوي (١/ ٣٢٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/ ١٢).

[٢] رواه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥).

١٤- وأن خير القرون قرن الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، كما قال النبي ﷺ، وأن أفضل الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، وقيل: ثم عثمان وعلي، ونكف عن التفضيل بينهما، وروي ذلك عن مالك، وقال: ما أدركت أحدًا أقتدي به يفضل أحدهما على صاحبه ويرى الكف عنهما.

وروي عنه القول الأول وعن سفيان وغيره، وهو قول أهل الحديث، ثم بقية العشرة، ثم أهل بدر من المهاجرين، ثم من الأنصار ومن جميع أصحابه على قدر الهجرة والسابقة والفضيلة، وكل من صحبه ولو ساعة، أو رآه ولو مرة فهو بذلك أفضل من أفضل التابعين.

والكف عن ذكر أصحاب رسول الله ﷺ إلا بخير ما يذكرون به، فإنهم أحق الناس أن تنشر محاسنهم، ويلتمس لهم أفضل المخارج، ويظن بهم أحسن المذاهب، قال الرسول ﷺ: «لاَ تؤذوني في أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدَكُمْ مِثْلَ أُحدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ»[١]، وقال عليه السلام: «إذا ذُكِرَ أصْحابِي فأمْسِكُوا»[٢].

قال أهل العلم: لا يُذكرون إلا بأحسن ذكر.

الشرح

تتضمن هذه الفقرة ما يلي:

---

[١] رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠) بلفظ: «لا تَسبُّو أَصْحَابِي».

[٢] رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٤٢٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٤).

١- أن خير القرون هم القرون الثلاثة المفضلة، وهذا كما قال ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»[١]، وهذه الخيرية شاملةٌ للاعتقاد والعمل والقول والسلوك.

٢- فضل الصحابة رضي الله عنهم، وأنهم أفضل الناس بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم بعد الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[التوبة: ١٠٠] ، وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾[الفتح: ٢٩].

فجميع الصحابة عدولٌ لهم الفضل والمراتب العليّة، بل كل من صحب النّبي ﷺ ولو ساعة، أو رآه ولو مرة ومات على ذلك فهو بذلك أفضل من أفضل التابعين.

٣- أن من عقيدة أهل السنة أن الصحابة مع فضلهم فهم يتفاضلون فيما بينهم، فأفضل الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة سعيد بن زيد وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وعامر بن الجراح، ثم أهل بدر من المهاجرين ثم الأنصار، ثم من أسلم قبل الفتح على من أسلم بعده.

---

[١] رواه البخاري (٣٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٣).

وهذا دلت عليه أدلة كثيرة، كقوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [الحديد: ١٠].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: « كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ حَيٌّ: أَفْضَلُ أُمَّةِ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَهُ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ»[١].

يبقى هنا مسألة أشار إليها المؤلف: أيهم أفضل عثمان أم علي؟

القول الأول: عثمان ثم علي، مروي عن مالك وسفيان، وهو قول أهل الحديث وجمهور العلماء.

القول الثاني: عثمان وعلي ويكف عن التفاضل بينهما، وروي عن مالك.

القول الثالث: علي ثم عثمان، قال به أهل الكوفة وسفيان ثم رجع عنه.

لكن هذا الخلاف كان قديمًا ثم استقر إجماع أهل السنة في تقديم عثمان على علي رضي الله عنهما،فمن قدم عليا فقد خالف الإجماع، وأزرى بالمهاجرين والأنصار، قال أيوب السختياني وأحمد والدارقطني رحمهم الله: «مَنْ قَدَّمَ عَلِيًّا عَلَى عُثْمَانَ فَقَدْ أَزْرَى بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ»[٢].

٤- من عقيدة أهل السنة والجماعة كف اللسان عما شجر بين الصحابة، وحرمة ذكرهم بسوء، ففضل الصحابة عظيم، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه فيجب أن يُعرف قدرهم وتحفظ كرامتهم، لا يدعى فيهم العصمة بل الخطأ منهم

[١] رواه أبو داود (٤٦٢٨)، وصححه الألباني.

[٢] ينظر: منهاج السنة لابن تيمية (١/ ٥٣٤).

وارد، لكنهم موعودون بالمغفرة ولهم من الحسنات والسابقة ما يمحو به الله ما وقع منهم، فيجب على المسلم ما يلي:

أ- عدم الخوض فيما حدث بين الصحابة رضي الله عنهم من خلافات؛ لأن الواجب ذكرهم بأحسن الذكر، ولأنه ليس في البحث عما حدث بينهم أي فائدة؛ لأنه يوغر الصدر، ثم يعسر الوقوف عليه.

ب- أن ما حدث بينهم لم يكن من أجل الدنيا، وإنما كان من أجل الدين، فمن أصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر، وخطؤه معفوٌّ عنه لاجتهاده، فيجب التماس أحسن المذاهب لهم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا تَسبُّوا أَصْحَابِي**»، وما ذكره المؤلف: «**لا تؤذوني في أصحابي**» لفظ ضعيف.

٥- أن الوقيعة فيهم علامة الخذلان، ولا يقع فيهم إلا صاحب هوى ضال مبتدع، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا ذُكِرَ أَصْحابِي فأَمْسِكُوا**» [١]، ومرد الطعن على الشريعة وفي النبي صلى الله عليه وسلم، كما قال مالك و أئمة الدين: «طعنوا في أصحابه ليقول القائل: رجلُ سوء كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلا صالحا لكان أصحابه صالحين» [٢].

---

[١] تقدم تخريجه.

[٢] ينظر: الصارم المسلول لابن تيمية (ص٥٨٠).

١٥- والسمع والطاعة لأئمة المسلمين، وكل من ولي أمر المسلمين عن رضا أو عن غلبة فاشتدت وطأته من برّ أو فاجر فلا يخرج عليه جار أو عدل، ويُغزى معه العدو ويحج معه البيت، ودفع الصدقات إليهم مجزية إذا طلبوها، وتُصلى خلفهم الجمعة والعيدان، قال غير واحد من العلماء وقاله مالك: لا يصلى خلف المبتدع منهم إلا أن يخافه فيصلي، واختلف في الإعادة، ولا بأس بقتال من دافعك من الخوارج واللصوص من المسلمين وأهل الذمة عن نفسك ومالك.

الشرح

تتضمن هذه الفقرة ما يلي:

١- أن من عقيدة أهل السنة والجماعة السمع والطاعة للحكام ولولاة أمر المسلمين بالمعروف وإن ظلموا و جاروا.

قال رسول الله ﷺ: **«عَلَيْكَ السَّمْعَ والطّاعَةَ في عُسْرِكَ ويُسْرِكَ، ومَنْشَطِكَ ومَكْرَهِكَ، وأَثَرَةٍ عَلَيْكَ»**[١].

وقال ﷺ: **«اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فإنَّما عليهم ما حُمِّلُوا، وَعلَيْكُم ما حُمِّلْتُمْ»**[٢].

وقال ﷺ: **«عَلى المَرْءِ المُسْلِمِ السَّمْعُ والطّاعَةُ فِيما أَحَبَّ وكَرِهَ، إلّا أنْ يُؤْمَرَ بمَعْصِيَةٍ، فإنْ أُمِرَ بمَعْصِيَةٍ، فلا سَمْعَ ولا طاعَةَ»**[٣].

[١] رواه مسلم (١٨٣٦).

[٢] رواه مسلم (١٨٤٦).

[٣] رواه البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩).

وقال ﷺ: «**مَن كَرِهَ مِن أميرِهِ شيئًا فَلْيَصْبِرْ، فإنَّه مَن خَرَجَ مِنَ السُّلْطانِ شِبْرًا ماتَ مِيتَةً جاهِلِيَّةً**»[1].

وقال ﷺ: «**ألا مَن ولِيَ عليه والٍ، فَرَآهُ يَأْتي شيئًا مِن مَعْصِيَةِ اللهِ، فَلْيَكْرَهْ ما يَأْتي مِن مَعْصِيَةِ اللهِ، ولا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِن طاعَةٍ**»[2].

٢- طرق انعقاد الإمامة:

الأولى: طريق اختيار أهل الحل والعقد.

الثانية: طريق الاستخلاف والعهد.

الثالثة: طريق التغلب.

وهذه الطرق دل عليها الإجماع والنص.

فمن عقدت له الإمامة بأحد هذه الطرق وجب على الناس مبايعته، واعتقاد إمامته والسمع والطاعة له بالمعروف.

٣- أن من عقيدة أهل السنة والجماعة إقامة العبادات: الصلاة والحج، ودفع الزكاة للأمراء سواء كانوا أبرارًا أم فجارًا.

وهذه مسائل دل عليها النص والإجماع:

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**كَيْفَ أَنْتَ إِذَا كَانَتْ عَلَيْكَ أُمَرَاءُ يُؤَخِّرُونَ الصَّلاَةَ عَنْ وَقْتِهَا أَوْ قَالَ يُمِيتُونَ الصَّلاَةَ عَنْ وَقْتِهَا؟**»، قَالَ قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «**صَلِّ الصَّلاَةَ لِوَقْتِهَا، فَإِنْ أَدْرَكْتَهَا مَعَهُمْ فَصَلِّ فَإِنَّهَا لَكَ نَافِلَةٌ**»[3].

---

[١] رواه البخاري (٧٠٥٣)، ومسلم (١٨٤٩).

[٢] رواه مسلم (١٨٥٥).

[٣] رواه مسلم (٦٤٨).

وأجمع أهل السنة على إقامة الحج معهم، وأن الجهاد ماضٍ مع كل إمام عدل أو جائر، وكذلك الزكاة تدفع لهم ولا تمنع بسبب جورهم.

قال ابن أبي زمنين رحمه الله: «ومن قول أهل السنة أن صلاة الجمعة والعيدين وعرفة مع كل أمير بر أو فاجر، من السنة والحق وأن من صلى معهم ثم أعادها فقد خرج من جماعة من مضى من صالح سلف هذه الأمة»[١].

٤- تنبيه: في قول المؤلف: **«قال غير واحد من العلماء، وقال مالك لا يصلى خلف مبتدع منهم إلا أن يخافه فيصلي واختلف في الإعادة»**.

مسألة الصلاة خلف المبتدع.

المبتدع له حالتان:

الحالة الأولى: إن كانت بدعته كفرية، فهذا على صنفين:

الأول: إن كان غير الحاكم فلا يصلى خلفه، ومن صلى أعاد أبدًا.

الثاني: أن يكون الحاكم أو من ناب عنه، فهذا يصلي خلفه إن خاف الفتنة، ويعيد الصلاة.

الحالة الثانية: إن كانت بدعتهُ غير مكفرة فالصلاة خلفه صحيحة، سواءٌ كان الإمام أو غيره، لكن في غير الإمام الأفضل أن يصلى خلف صاحب السنة إن وجد ولم تترتب على ذلك فتنة، فإن كان صاحب البدعة إمامًا راتبًا لا يمكنه الصلاة إلا خلفه فإنه يصلى خلفه عند عامة السلف[٢].

---

[١] أصول السنة (ص٢٨١).

[٢] ينظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (٢/ ٥٣٤).

٥- جواز مدافعة الخوارج واللصوص من المسلمين والذمّيين إن دافعك وقاتلك واعتدى عليك.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾[المائدة: ٣٣] ، وقال النبي ﷺ في الخوارج: « **لَئِن أَنا أَدرَكتُهم لَأَقتُلَنَّهم قَتْلَ عادٍ**»[١] .

وقتال الخوارج واللصوص متى قاتلوا ودافعوا ونهبوا من قبل أن تقدروا عليهم جائز بل واجب، قال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤ ﴾[المائدة].

فالقصد من قتالهم إذا تعصبوا وقاتلوا، وهناك فروق بين المحاربة والخارجين والبغاة:

١- رد فتنتهم لا قتلهم.

٢- ويكف عن مدبرهم.

٣- ولا يجهز على جريحهم، أما المحاربين فيتبع مدبرهم.

٤- ولا يقتل أسراهم، والمحاربون يتبع ويحبس حتى تستبرأ أحوالهم.

٥- ولا تغنم أموالهم.

٦- أن يدعوهم قبل ذلك إلى الطاعة.

٧- وعلى المحاربين إن تابوا رد الحقوق ويسقط الحد عنهم.

---

[١] رواه البخاري (٧٤٣٢)، ومسلم (١٠٦٤).

١٦- والتسليم للسنن لا تعارض برأي ولا تدفع بقياس، وما تأوله منها السلف الصالح تأولناه، وما عملوا به عملناه، وما تركوه تركناه ويسعنا أن نمسك عما أمسكوا ونتبعهم فيما بينوا، ونقتدي بهم فيما استنبطوه ورأوه في الحوادث ولا نخرج عن جماعتهم فيما اختلفوا فيه أو في تأويله، وكل ما قدمنا ذكره فهو قول أهل السنة وأئمة الناس في الفقه والحديث على ما بيناه، وكله قول مالك، فمنه منصوص من قوله، ومنه معلوم من مذهبه.

الشرح

هذه الفقرة تتضمن ما يلي:

١- وجوب التسليم للسنن وأن لا تعارض برأي شخص كائنًا من كان، ولا تعارض بقياس، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[الأحزاب: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[النساء: ٦٥].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إِيَّاكُمْ وَأَرَأَيْتَ أَرَأَيْتَ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِأَرَأَيْتَ أَرَأَيْتَ، وَلَا تَقِيسُوا شَيْئًا بِشَيْءٍ فتزل قدم بعد ثُبُوتِهَا»[١]، وجعل رجل يقول لابن عمر رضي الله عنهما أرأيت أرأيت، قال: «اجْعَلْ أَرَأَيْتَ عِنْدَ الثُّرَيَّا»[٢].

---

[١] ذم الكلام وأهله للهروي (٢٧٨).

[٢] ذم الكلام للهروي (٢٨٢).

٢- الوقوف على فهم السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وتابعيهم، وذلك يكون بالاقتداء بهم، وهذا قائم على عدة أمور:

أ- ما تأولوه وفسروه تأولناه وفسرناه على تفسيرهم.

ب- ما عملوا به عملنا به.

ت- ما تركوه تركناه، وما سكتوا عنه نسكت عنه.

ث- وما كان فيه خلاف بينهم فله حالتان:

الأولى: ما اتفقوا عليه فهذا واجب العمل به ولا يجوز خلافه.

الثانية: ما اختلفوا فيه، فهذا يجب ألا نخرج عن خلافهم، بل نرجح بينهما بالأدلة.

٣- أن كل ما ذكره من مسائل العقيدة هو قول أهل السنة والجماعة وأئمة الناس في الفقه والحديث ومنهم مالك رحم الله الجميع، فيجب على العبد سلوك هذه العقيدة علما وعملاً، وأن يتمسك بها، ولا يتركها لرأي فلان وقول علان.

١٧- قال مالك: قال عمر بن عبد العزيز: سنّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننا الآخذُ بها تصديقًا بكتاب الله واستكمالاً لطاعة الله وقوة على دين الله، ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها، ولا النظر فيما خالفها من اقتدى بها مهتد ومن استنصر بها منصور، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا[١] .

قال مالك: أعجبني عزم عمر في ذلك.

الشرح

بعد أن ذكر المؤلف رحمه الله العقيدة، الآن سيشرع في تدعيم هذه العقيدة من أقوال أئمة الدين الذين يقتدى بهم.

فبدأ بأثر عمر بن عبد العزيز بن مروان الخليفة الثامن من خلفاء بني أمية، جمع بين العلم والحُكم، بويع له سنة ٩٩هـ، واستمرت خلافته سنتين ونصف، توفي سنة١٠١هـ، فيستفاد من كلامه رحمه الله:

١- أنّ رسول الله ﷺ وخلفاءه رضي الله عنهم سنّوا سننًا، وهذا كقوله ﷺ: «**عَليكُم بسنّتي وسنّة الخُلفَاء الرّاشدين**»[٢].

٢- أنّ هذه السنن يجب الأخذ والتصديق بها، ولا يجوز لأحدٍ تبديلها ولا تغييرها، ولا النظر فيما يخالفها.

[١] ينظر: ترتيب المدارك للقاضي عياض (٢/ ٤١)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٨/ ٩٨).

[٢] تقدم تخريجه.

٣- أنّ من ثمرات التمسك بالسنن أنّها طاعة لله ﷻ وقوة على دينه، وتصديق لكتابه.

٤- أنّ من تمسك بها فهو المهتدي المنصور.

٥- أنّ من خالفها فهو من أهل الهوى، إما جاهلٌ أو مبتدعٌ مغرور اتبع غير سبيل المؤمنين، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[النساء: ١١٥].

٦- أنّ هذا الأثر أعجب مالكًا، وعجب بعزمه وصرامته في السنة.

١٨-قال مالك: والعمل أثبت من الأحاديث، قال من اقتدى به: إنه يصعب أن يقال في مثل ذلك: حدثني فلان عن فلان، وكان رجال من التابعين تبلغهم عن غيرهم الأحاديث فيقولون ما نجهل هذا ولكن مضى العمل على خلافه.

وكان محمد بن أبي بكر بن حزم ربما قال له أخوه: لِمَ لَمْ تقضِ بحديث كذا؟ فيقول: لم أجدِ الناس عليه.

الشرح

في هذه الفقرة فرع عن مسألة تقديم قول الصحابة، وهي أن العمل، أي: عمل الصحابة يقدم على الحديث إذا خالفه، وهذا فيه حالات:

الأولى: إن كان العمل مجمعًا عليه، والحديث خالفه فيقدم العمل؛ لأنه إجماع منهم يدل على نسخ الحديث.

الثانية: إن كان العمل هو عمل الأكثر، وكان مخالفـًا للحديث، فعمل الأكثر ليس بحجة، فينظر في الأدلة ويعمل بها.

الثالثة: إن كان العمل عمل أهل المدينة، فيقدم على الحديث، وهذا مقصود مالك، أو هو حجة عند مالك، وليس بحجة عند الجمهور.

ومالك له روايتان في عمل أهل المدينة:

١- أنّه حجة مطلقًا وهذا مرجوح.

٢- أنه حجة بشروط:

أ- أن يكون فيما لا مجال للرأي فيه.

ب- أن يكون من الصحابة والتابعين لا غير.

فيقدم على خبر الآحاد عنده، وعلى هذا يحمل قوله وقول ابن مهدي: «السنة المتقدمة من سنة أهل المدينة خير من الحديث».

٩-قال النخعي: لو رأيت الصحابة يتوضؤون إلى الكوعين لتوضأت كذلك، وأنا أقرأها إلى المرافق، وذلك لأنهم لا يُتهمون في ترك السنن وهم أرباب العلم وأحرصُ خلق الله على اتباع رسول الله ﷺ فلا يظن ذلك بهم أحد إلا ذو ريبة في دينه[١].

قال عبد الرحمن بن مهدي: السنة المتقدمة من سنة أهل المدينة خير من الحديث[٢].

قال ابن عيينة: الحديث مضلة إلا للفقهاء.

يريد: أن غيرهم قد يحمل شيئًا على ظاهره، وله تأويل من حديث غيره،أو دليل يخفي عليه، أو متروك أوجب تركه غير شيء مما لا يقوم به إلا من استبحر وتفقه.

قال ابن وهب: كل صاحب حديث ليس له إمام في الفقه فهو ضال ولولا أن الله أنقذنا بمالك والليث لضللنا[٣].

الشرح

هذه الأقوال تتضمن ما يلي:

١- وجوب الاقتداء بالصحابة في فهم الكتاب.

---

[١] ينظر: المدخل لابن الحاج (١/ ١٢٨)، والذخيرة للقرافي (١٣/ ٣٢٥).

[٢] ينظر: التمهيد لابن عبد البر (١/ ٨١).

[٣] ينظر: الانتقاء لابن عبد البر (ص٢٨)، وترتيب المدارك للقاضي عياض (١/ ١٧٢).

٢- أنّه يجب على العبد أن يكون له إمام من الصحابة والتابعين وأئمة الدين معتبرٌ في قوله وحديثه، ولهذا قال ابن عيينة: «الحديث مضلة إلا للفقهاء»، يعني: أنّ الحديث له شروط كثيرة للعمل به، وقد سبق أئمة الدين بها، فلا تدخل في الحديث وحدك فتضل وتزل كما قال ابن وهب، ولهذا فسره ابن أبي زيد أن غيرهم من غير أهل البصيرة والفقه يحمل الحديث على ظاهره، وقد يكون من الأدلة ما يعارضه أو يقيده، أو أن يكون قد ترك العلماء العمل به، فيأتي قليل البصيرة فيعمل به.

٢٠- وروي أن النبي ﷺ قال: «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ»[١].

وقال ابن مسعود: من كان مستنًا فليستن بمن قد مات أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في أقوالهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الصراط المستقيم[٢].

الشرح

في هذا الحديث والأثر التأكيد على وجوب التمسك بفهم الصحابة رضي الله عنهم والسير على ما عليه الأئمة.

ففي حديثه ﷺ:

أ- بيان حملة الدين، وهم العدول الذين أخذوا العلم عمن سلفهم، فينفون عنه التحريف، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

ب- الحث على أخذ العلم من هؤلاء العدول الأخيار أئمة الدين.

ت- الحذر من الأصناف الثلاثة:

- الغلاة المحرّفين للنصوص.

---

[١] رواه البيهقي في السنن الكبرى (٢٠٧٠٠)، وصححه الألباني في المشكاة (٢٤٨).

[٢] رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٨٠٧)، والبغوي في شرح السنة (١/ ٢١٤).

❁ والمبطلون المنتحلون للعلم، أي: المتظاهرين بالتزامه.

❁ وتأويل الجهال.

وأما أثر ابن مسعود رضي الله عنه ففيه:

أ- الحث والأمر بالتمسك والسير على طريقة الصحابة رضي الله عنهم.

ب- بيان فضلهم والدواعي والأسباب التي توجب التمسك بطريقتهم رضي الله عنهم.

٢١- قال مالك: قال عمر: قد سنت لكم السنن وفرضت لكم الفرائض، وتركتم على الواضحة إلا أن تميلوا بالناس يمينًا وشمالاً [١].

قال مالك: قد نهجت السبل واستبان الأمر، قال ذلك الرجل: لأنا عليكم من العمد أخوف مني عليكم من الخطأ ، قال مالك: وإنما فسدت الأشياء حين تُعدِي بها منازلها.

الشرح

هذه الفقرة مؤكدةٌ لما سبق من وجوب الاستنان بما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم والتابعون ومن تبعهم بإحسان، ففي أثر عمر رضي الله عنه:

أ- أن السنن سنّت، والفرائض فرضت، فيجب الاستسلام لها وعدم الابتداع فيها.

ب- أن هذه السنن والفرائض بينة واضحة شاملة، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا**»[٢] .

ت- أن هذه السنن هي الصراط المستقيم فمن مال يمينًا أو شمالاً انحرف، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[الأنعام: ١٥٣].

[١] رواه مالك في الموطا (١٥٠٦).

[٢] رواه ابن ماجه (٤٣)، وصححه الألباني.

ث- زاد مالك: «قد نهجت السبل»، أي: اتخذت منهجًا و طريقة، واستبان الأمر؛ اتضح فلم يعد فيه لُبْسٌ.

ج- ثم نقل عن عمر رضي الله عنه خوفه علينا من تعمد الانحراف عن هذا الصراط؛ لأن الخطأ مع بذل الوسع معفوٌّ عنه، لكن من علم وتعمد الانحراف هنا الهلكة.

د- ثم بين مالك سبب الفساد في أمر الدين، وهو التعدي عن المنازل والطريق التي حرمها الشرع.

٢٢- قال مالك: وليس هذا الجدل من الدين بشيء، وقال عمر بن عبد العزيز: من جعل دينه عرضًا للخصومات أكثر التنقل[١].

والدين قد فرغ منه حدوده وليس بأمر توقف فيه النظر، قال عمر بن عبد العزيز: لست بمبتدع ولكني متبع، قال مالك: وكان يقال: لا تُمكن زائغ القلب من أذنيك فإنك ما تدري ما يعلقك من ذلك، ولقد سمع رجل من الأنصار من أهل المدينة شيئًا من بعض أهل القدر، فعلق قلبه، فكان يأتي إخوانه الذين يستنصحهم، فإذا نهوه قال: فكيف بما علق قلبي ولو علمت أن الله رضي أن ألقي بنفسي من فوق هذه المنارة فعلت، قال مالك: ولقد قال رجل: لقد دخلت هذه الأديان كلها فلم أر شيئًا مستقيمًا، فقال له رجل من أهل المدينة من المتكلمين: أنا أخبركم لِمَ ذلك، لأنك لا تتقي الله تعالى، ولو اتقيته لجعل لك مخرجًا.

الشرح

تتضمن هذه الآثار ما يلي:

١- أن الجدال في الدّين مذمومٌ، وذلك لأن الدين أمرٌ فرغ منه أنزله الله تعالى، ووضحه رسوله ﷺ فلا يجادل في المسلَّمَات إلا مريض أو صاحب هوى، ولم يُعرَف عن أهل السنة الجدال في الدين، لأن الدين مبناه على التسليم.

[١] رواه الدارمي في سننه (٣١٢)، والآجري في الشريعة (١١٦).

٢- أن من أكثر الخصومات مع أهل الأهواء والبدع يتأثر بهم وينتقل من اليقين الذي عنده إلى الشكوك التي عندهم، وكذلك يقدح الشك الذي في القلب، ويغلق باب العمل ويقسّي القلب.

٣- أن الدين مبناه على المنع والتوقيف.

٤- أن الدين اتباعٌ للسنن وليس ابتداع.

٥- الحذر من تمكين أهل الأهواء من العبد بسماع أو قراءة؛ لأن الشبه خطافةٌ تعلق في القلب.

٦- خطورة الشبه على القلب، وأنها سببٌ لانحراف العبد.

٧- صعوبة خروج الشبه من القلب.

٨- أن من لم يتق الله حق تقواه ويتمسك بدينه، ويستقيم على الحق والهدى فإنه سيدخل في الأديان وتتجارى به الأهواء.

٢٣- ومن قول أهل السنة: إنه لا يعذر من رداه اجتهاده إلى بدعة؛ لأن الخوارج اجتهدوا في التأويل فلم يُعذروا إذ خرجوا بتأويلهم عن الصحابة، فسماهم الرسول ﷺ مارقين من الدين، وجعل المجتهد في الأحكام مأجورًا وإن أخطأ.

الشرح

تتضمن هذه الفقرة مسألة مهمة دقيقة:

وهي مسألة عذر من اجتهد وأخطأ في الأحكام، وعدم عذر من اجتهد وأخطأ في البدعة.

أولاً: لا بد أن نعرف أن خصال السنة التي يبدع فيها المخالف عليها ما أجمع أهل السنة على كون ذلك مخالفة في الأصول التي بُدّع عليها.

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: « وَمن السّنة اللَّازِمَة الَّتِي من ترك مِنْهَا خصْلَة لم يقبلهَا ويؤمن بهَا لم يكن من أَهلهَا»[١] .

وقال ابن تيمية رحمه الله: «والبدعة التي يعدّ بها الرجل من أهل الأهواء ما اشتهر عند أهل العلم بالسنة مخالفتها للكتاب والسنة؛ كبدعة الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة»[٢] .

---

[١] أصول السنة (ص١٨).

[٢] مجموع الفتاوى (٣٥/ ٤١٤).

ويقول الشاطبي رحمه الله: «لا يعد من الفرق إلا المخالف في أمر كلي وقاعدة عامة»[١] .

ثانيًا: قد بين العلماء أن من وقع في البدعة فله حالات:

الأولى: إن وقع في بدعة الخوارج والمعتزلة والروافض فهذا يكون مبتدعًا ولو كان مجتهدًا.

الثانية: إن وقع في بدعة كبيرة وأصل عظيم كالقول بخلق القرآن فهذا مبتدع ولو كان مجتهدًا.

الثالثة: من وقع في بدعة خفيفة أو جزئية وكان بتقليد يعذر معه؛ فيُعذر ولا يُتبع.

الرابعة: من وقع في بدعة خفيفة أو جزئية وكان باجتهادٍ يعذر معه فيعذر ولا يتبع.

قال ابن تيمية رحمه الله فيمن ابتدع بعض البدع: «لا ريب أن من فعلها متأولًا مجتهدًا أو مقلدًا كان له أجر على حسن قصده، وعلى عمله، من حيث ما فيه من المشروع، وكان ما فيه من المبتدع مغفورًا له، إذا كان في اجتهاده أو تقليده من المعذورين»[٢] .

هنا تنبيه:

أ- أنه ليس معنى عذره إقراره على الخطأ بل يرد خطؤه ولا يتبع.

ب- أن مثل ذلك إذا صدر من علماء أهل السنة فإنهم لا يسقطون.

---

[١] الاعتصام (٢/ ٧٦٤).

[٢] اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١١٧).

يقول ابن القيم رحمه الله: «من قواعد الشرع والحكمة أيضًا أنَّ من كَثُرَت حسناتُه وعَظُمَت، وكان له في الإسلام تأثيرٌ ظاهر، فإنه يُحتَمَلُ له ما لا يحتَمَلُ لغيره، ويُعفى عنه ما لا يُعفى عن غيره؛ فإنَّ المعصية خَبَث، والماءُ إذا بلغ قلَّتين لم يحمل الخَبَث، بخلاف الماء القليل»[١].

فهنا يجب معرفة أمور مهمة:

من المخطئ.؟

ما هو الخطأ؟

وما هي مرتبته؟

النظر إلى المصالح والمفاسد.

قال ابن تيمية رحمه الله: «فتفطن لحقيقة الدين، وانظر ما اشتملت عليه الأفعال من المصالح الشرعية، والمفاسد، بحيث تعرف ما مراتب المعروف، ومراتب المنكر، حتى تقدم أهمها عند الازدحام، فإن هذا حقيقة العلم بما جاءت به الرسل، فإن التمييز بين جنس المعروف، وجنس المنكر، أو جنس الدليل، وغير الدليل، يتيسر كثيرًا»[٢].

---

[١] مفتاح دار السعادة (١/ ٥٠٤).

[٢] اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٢٧).

٢٤- قال مالك: والقدرية أشر الناس ورأيتهم أهل طيش وسخافة عقول، ونزع بآي كثيرة عليهم، منها قول الله سبحانه ﷻ: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: ١١٠]، ومنها: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ﴾ [هود: ٣٦]، وقال: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧]، وقال: ﴿مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ [الصافات]، وقال: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦]، في آي كثيرة.

الشرح

هذه الفقرة متضمنة لأمور:

١- تحذير الإمام مالك من أهل البدع والقدرية، والمبالغة في ذمهم وعدم ذكر محاسنهم، وهذا هو المنهج النبوي السني.

قال الإمام مالك: «إِيَّاكُمْ وَالْبِدَعَ»، فَقِيلَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ وَمَا الْبِدَعُ؟ قَالَ: «أَهْلُ الْبِدَعِ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ وَكَلامِهِ وَعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَلا يَسْكُتُونَ عَمَّا سَكَتَ عَنْهُ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ»[١].

قال أبو عبيد القاسم رحمه الله: «كان سفيان والأوزاعي ومالك بن أنس ومن بعدهم من أرباب العلم وأهل السنة الذين كانوا مصابيح الأرض وأئمة العلم في دهرهم من أهل العراق والحجاز والشام وغيرها زارين على أهل البدع كلها»[٢].

---

[١] أحاديث في ذم الكلام وأهله لأبي عبد الرحمن السلمي (ص٨٢).

[٢] الإيمان (ص٣٥).

٢- القدرية: فرقة مبتدعة من شر الناس، أهل طيش وسخافة عقول وهم على قسمين:

- القدرية الغلاة: نفوا العلم والكتابة.
- القدرية غير الغلاة: نفوا الخلق والمشيئة.

ومن أنواع القدرية الجبرية الذين يقولون: إن العبد مجبورٌ على فعله، وأن الله هو الفاعل وليس العبد.

٣- الرد على أهل البدع القدرية بالأدلة التالية:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾[التوبة: ١١٠]؛ أي: شكًّا وغيظًا.

وجه الشاهد: أن الله تعالى علم ما في قلوبهم من ريبة، وغلاة القدرية ينفون علم الله .

وجه الشاهد الثاني: أن الله أثبت لهم عملا وهو البنيان، وهذا رد على القدرية الجبرية.

الدليل الثاني: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾[هود: ٣٦].

شاهده: أن الله علم من الذي يؤمن ومن الذي لا يؤمن، وهذا فيه إثبات العلم، والقدرية الغلاة تنفيه.

الدليل الثالث: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[نوح: ٢٧].

وجهه: إثبات علم الله تعالى ردًّا على القدرية.

الدليل الرابع: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ١٦٢ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ١٦٣﴾ [الصافات]، وفيها إثبات علم الله تعالى.

الدليل الخامس: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦]، أثبت الله لهم عملاً ردا على القدرية الجبرية، ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ ردًّا على القدرية.

٢٥- قال مالك: والإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وفي بعض الروايات عنه: دع الكلام في نقصانه، وقد ذكر الله زيادته في القرآن، قيل: فبعضه أفضل من بعض؟ قال: نعم.

قال بعض أهل العلم: إنما توقف مالك عن نقصانه في هذه الرواية خوفًا من الذريعة أن يتأول أنه ينقص حتى يذهب كله فيؤول ذلك إلى قول الخوارج الذين يحبطون الإيمان بالذنوب، ولكن إنما نقصه عنده فيما وقعت فيه زيادة وهو العمل.

٢٦- قيل لمالك: أقول: مؤمن والله محمود، أو إن شاء الله؟ فقال: قل: مؤمن ولا تخلط معها غيرها، وقاله الأوزاعي، قال سحنون: لا تخلط معها غيرها، لا تقل: إن شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولا والله محمود.

قال محمد بن سحنون: فمن قطع الاستثناء وأوجب أنه مؤمن فقد أجابكم إلى القول بأنه مؤمن عند الله، ومن استثنى ولم يقطع لنفسه، قلنا له: أنت أعلم منا بضميرك، وما غاب عنا من عقدك، فأخبرنا عن غيبك فإن كنت كذا، فذكر شرائط الإيمان، وإن كنت كذا فأنت منافق ونحو هذا، ومن قطع لنفسه من أئمتنا فليس يعني مستكمل الإيمان، ولكن مؤمن مذنب يقول: آمنت بالله ورسله وبما جاءت به رسله، فأنا مؤمن بذلك عند الله في وقتي هذا والله أعلم بخاتمتي.

قال مالك: أهل الذنوب مؤمنون مذنبون، وقد سمى الله عز وجل العمل إيمانًا، وقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾[البقرة: ١٤٣]، يريد: صلاتكم إلى بيت المقدس.

الشرح

تتضمن هذه الفقرة ما يلي:

١- أن الإيمان قولٌ وعملٌ، أي: قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح والدليل على أن العمل من الإيمان قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وحديث: «الإيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً»[١]، والإجماع.

٢- أن الإيمان يزيد وينقص، وهذا هو قول مالك في روايته الأولى، وهذا ما عليه أهل السنة قاطبة.

الرواية الثانية: أنه توقف عن القول بالنقصان، وقال: إنه يتفاضل، ووجه ذلك أنه لم يجد في القرآن لفظ النقص فتوقف عند ما جاء في كتاب الله تعالى.

وقال بعض العلماء: سبب توقفه ذريعة حتى لا يصل إلى قول الخوارج، وهذا التوجيه مرجوحٌ ضعيفٌ، وذلك لأن الخوارج لا تقول بنقصان الإيمان، وإنما تقول بحبوطه بالذنوب.

٣- أن منهج الخوارج حبوط العمل بكبائر الذنوب لا نقصانه.

٤- مسألة الاستثناء في الإيمان.

لها حالات عند أهل السنة باعتبار الإيمان المطلق ومطلق الإيمان.

الأول: باعتبار الإيمان المطلق هو الإيمان الكامل الذي يتضمن فعل جميع الطاعات وترك جميع المحرمات.

---

[١] تقدم تخريجه.

فهنا عدة حالات:

الأولى: أن المسلم لا يجوز أن يجزم بالإيمان وهو يقصد الإيمان المطلق، فإن قال: أنا مؤمن بهذا الاعتبار ولم يستثن شهد على نفسه بالكمال، وهذا لا يدعيه مسلم عاقل.

الثانية: الاستثناء بالنظر إلى تقبل الأعمال عند الله، وهو جائز.

الثالثة: الاستثناء بعدًا عن التزكية، وهو جائز.

الرابعة: الاستثناء بالنظر في الخاتمة، فإن المسلم لا يدري على ماذا يختم له، وها جائز.

الاعتبار الثاني: أما باعتبار مطلق الإيمان فلا يجوز الاستثناء فيه؛ لأن مطلق الإيمان يقابل الإسلام ولا يجوز أن يستثني فيه.

٥- أن المسلم المذنب يسمى مؤمنًا لا كافرًا مشركًا.

أهل السنة يسمون أهل الذنوب مؤمنين مذنبين، أو مؤمنًا ناقص الإيمان، ولا يطلقون عليه أنه كافر، فهو في الاسم مسلم وفي الحكم مسلم، والخوارج يسمونه كافرًا وتحكم عليه في الآخرة بالنار، والمعتزلة تسميه فاسقًا وتحكم عليه في الآخرة بالنار، ولكلا المذهبين بدعة مخالفة لما عليه السلف الصالح فعن أبي سفيان قال: قلت لجابر أكنتم تقولون لأحد من أهل القبلة كافر؟ قال: «**لا**»، قلت: فمشرك، قال: «**معاذ الله وفزع**»[١].

---

[١] التمهيد لابن عبد البر (١٧/ ٢١).

٢٧- قال مالك: القرآن كلام الله وكلامه لا يبيد ولا ينفد وليس بمخلوق.

وقال رجل لمالك: يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف منه غير معقول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب، وأراك صاحب بدعة أخرجوه، وقيل لمالك: أيُرى الله تعالى يوم القيامة؟ قال: نعم، لقوله سبحانه: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، وقال عز وجل في أخرى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين: ١٥].

قال مالك: قال عبد الله بن عمر: وإن دون الله سبحانه يوم القيامة سبعون ألف حجاب.

الشرح

هذه الفقرة تتضمن ما يلي:

١- إثبات أن القرآن كلام الله حقيقة، وهو ليس بمخلوق فلا يبيد وينقطع، ولا ينفد وينتهي.

٢- إثبات استواء لله تعالى على عرشه، كما قال الله تعالى في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

وهذه عقيدة أجمع عليها علماء الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة، ودلّ عليها القرآن والسنة.

٣- ضابط أهل السنة في الصفات:

❁ أنها معلومة في اللغة، وغير معقولة الكيفية.

❁ أن الإيمان بها واجبٌ، والسؤال عن كيفيتها بدعة.

٤- إثبات رؤية الله تعالى يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾[القيامة] ، وقوله ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِه»[١].

٥- إثبات الحجب قال ﷺ: «حِجابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحاتُ وَجْهِهِ ما انْتَهَى إليه بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»[٢].

وكونها سبعون حجابًا ورد في المعجم الكبير وضعفه جمع من العلماء، وأودعوه في الموضوعات، وجاء صحيحًا عن ابن عمر رضي الله عنهما: «احْتَجَبَ اللهُ مِنْ خَلْقِهِ بِأَرْبَعٍ: بِنَار وظلمة وَنور وظلمة»[٣]، قال البخاري : صحيح، وجاء عن مجاهد صحيحًا[٤].

---

[١] تقدم تخريجه.

[٢] رواه مسلم (١٧٩).

[٣] ينظر: السلسلة الضعيفة (٦٥٠٢).

[٤] ينظر: أصول السنة (١٣٤-١٣٥).

٢٨- قيل لمالك: فمن يحدث بالحديث: إن الله خلق آدم على صورته، وأن الله يكشف عن ساقه يوم القيامة، وأنه يُدخِلَ يده في جهنم فيُخرج منها من أراد فأنكر ذلك إنكارًا شديدًا، ونهى أن يتحدّث به، قيل: قد تحدث به ابن عجلان؟ قال: لم يكن من الفقهاء.

٢٩- ولم ينكر مالك حديث التنزّل، ولا حديث الضحك، قيل: فحديث: «إنَّ العَرْشَ اهتَزَّ لِموتِ سَعْد»[١]؟ قال: لا يتحدث به، وما يدعو الإنسان إلى الحديث بذلك وهو يرى ما فيه من التغرير؟

الشرح

تتضمن هذه الفقرة ما يلي:

١- إثبات جملة من الصفات الواردة في النصوص:

الصفة الأولى: صفه نزول الرب ﷻ بلا كيف ولا تمثيل ولا تعطيل، قال رسول الله ﷺ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبارَكَ وَتَعالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»[٢].

قال ابن عبد البر: «وأما قوله ﷺ في هذا الحديث: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا**» الذي عليه أهل العلم من أهل السنة والحق الإيمان بمثل هذا وشبهه من القرآن والسنن دون كيفية»[٣].

[١] رواه البخاري (٣٨٠٨)، ومسلم (٢٤٦٦).

[٢] رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

[٣] الاستذكار (٢/ ٥٢٩).

الصفة الثانية: صفة الضحك لله تعالى بلا كيف ولا تعطيل، قال رسول الله ﷺ: «**يَضْحَكُ اللهُ لِرَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ**»[١].

الصفة الثالثة: إثبات صفة الصورة لله تعالى بلا تمثيل ولا تعطيل، قال رسول الله ﷺ: « **خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**»[٢]، ومعنى على صورته، أي: سميعًا بصيرًا متكلمًا فاعلاً، وجاء في حديث طويل عن وصف يوم القيامة: « **فَيَأْتِيهِمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ**»[٣].

الصفة الرابعة: صفه الساق لله تعالى بدون تمثيل ولا تعطيل، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾[القلم: ٤٢].

قال رسول الله ﷺ: «**يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ**»[٤].

٥- إثبات صفة اليد لله تعالى من دون تمثيل ولا تعطيل، قال ﷻ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[المائدة: ٦٤]، وقال رسول الله ﷺ: «**فَيَقُولُ اللهُ** ﷻ: **شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ** »[٥].

٢- سبب إنكار مالك التحدث ببعض هذه الأحاديث.

للعلماء في ذلك توجيهان:

---

[١] رواه البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠).

[٢] رواه البخاري (٦٢٢٧)، ومسلم (٢٨٤١).

[٣] رواه البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢).

[٤] رواه البخاري (٤٩١٩) -واللفظ له-، ومسلم (١٨٣).

[٥] تقدم تخريجه.

التوجيه الأول: أنه منع من التحديث بها أمام العوام سدًّا للذريعة حتى لا تفهم على غير معانيها أو توضع في غير موضعها.

قال ابن عبد البر رحمه الله: «وإنما كره ذلك ملك خشية الخوض في التشبيه بكيف»[١] يوضح قوله هذا ما قاله في جامع بيان العلم وفضله: «ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصا في كتاب الله أو صح عن رسول ﷺ أو أجمعت عليه الأمة وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم له ولا يناظر.

وأسند إلى الأوزاعي قال: كان مكحول والزهري يقولان: أمروا هذه الأحاديث كما جاءت. ثم قال: وقد روينا عن مالك بن أنس، والأوزاعي، وسفيان بن سعيد الثوري، وسفيان بن عيينة، ومعمر بن راشد في الأحاديث في الصفات أنهم كلهم قالوا: أمروها كما جاءت، نحو حديث التنزّل وحديث، «**إنّ الله عز وجل خلق آدم على صورته**»، «**وأنه يدخل قدمه في جهنم**»»[٢].

قال ابن القاسم وابن وهب: «كره مالك أن يحدّث بها عوام الناس الذين لا يعرفون وجهه ولا تبلغه عقولهم فينكروه أو يضعوه في غير موضعه»[٣].

التوجيه الثاني: أن الأحاديث التي نهى عن التحديث بها قد لا تكون صحيحةً عنده، أو لم تبلغ في الصحة مبلغ حديث النزول والضحك، كما قاله الباجي في المنتقى[٤] والذهبي في السير[٥].

---

[١] التمهيد (٧/ ١٥٠).

[٢] (٢/ ٩٤٢-٩٤٣).

[٣] ترتيب المدارك (٢/ ٤٤).

[٤] (١/ ٣٥٧).

[٥] (٨/ ١٠٤).

٣٠- قيل: فالحديث: «مَن قال لأخيهِ: يا كافِرُ، فقد باءَ بها أَحَدُهُما» قال: أراه في الحرورية، قيل: فتراهم بذلك كفارًا؟ قال: ما أدري يا هذا، قيل: فمن قوي على كلام الزنادقة[١] والإباضية والقدرية وأهل الأهواء أيكلمهم؟ قال: لا، وإن الذين خرجوا إنما عابوا المعاصي، وهؤلاء تكلموا في أمر الله[٢].

وقال ذلك الرجل أما أنا فعلى بينة من ربي، وأما أنت فاذهب إلى شاك مثلك فخاصمه.

قال مالك: لا تسلم على أهل الأهواء ولا تجالسهم إلا أن تغلظ عليهم، ولا يعاد مريضهم، ولا تحدث عنهم الأحاديث.

قال مالك: قال لقمان لابنه: يا بني لا تجالس الفجار ولا تماشهم، وقال: جالس الفقهاء وماشهم، لعل الله أن ينزل عليهم رحمة فتصيبك معهم.

الشرح

هذه الفقرة تتضمن ما يلي:

١- أن تكفير المسلمين هو منهج الخوارج ففي قوله ﷺ: **«مَن قال لأخيهِ: يا كافِرُ، فقد باءَ بها أَحَدُهُما»، قال: أراه في الحرورية، قيل فتراهم بذلك كفارًا؟ قال ما أدري ما هذا**، ففي هذا الحديث مع قول مالك ما يلي:

---

[١] الزنديق في عرف الفقهاء هو المنافق، وفي عرف أكثر أهل الكلام هو الجاحد المعطل. ينظر: الإيمان الأوسط لابن تيمية (ص٣٠٣).

[٢] لعله يريد أن الذين خرجوا وناظرهم ابن عباس رضي الله عنهما عابوا المعاصي، وهو التحكيم، وأما القدرية والإباضية والزنادقة فقد تكلموا في أمر الله فلا يناظرون.

أ- التحذير من التكفير بغير حق.

ب- أن أول من يدخل في هذا الخوارج، فهم أول من كفر أهل القبلة.

ت- فيه توقف الإمام مالك في تكفير الحرورية، وهذه رواية عنه.

٢- في قوله: «فمن قويه على كلام الزنادقة» إلى آخره.

١- فيه الحذر من أهل البدع، فلا تجالسهم، ولا تسلم عليهم، ولا تعدهم.

٢- فيه الحذر من مجادلة أهل البدع والأهواء، وإن كان العبد يقوى على ذلك.

٣- فيه الفرق بين الخوارج الأوائل وأهل البدع والخوارج المتأخرين، وهو أن الأوائل عابوا المعاصي، والمتأخرون تكلموا في ذات الله وصفاته.

٤- عدم التحديث بالحديث من أهل البدع، وكان مالك يشتد في هذا الباب، وبعض أهل العلم فصل في مسألة التحديث عن المبتدع:

أ- أن تكون بدعته غير مكفرة.

ب- أن يكون صادقا في قوله.

ت- لا يروي ما يقوي بدعته.

٥- الحث على مجالسة الفقهاء والعلماء وأهل السنة؛ لأن مجالسهم تغشاها الرحمة وتفيض حكمة.

٣١- قال مالك: وأرى أن يستتاب أهل الأهواء والقدرية فإن تابوا إلا قوتلوا.

٣٢ - وقال سحنون: الذي أقول به: أنهم إن بانوا بدارهم ودعوا إلى بدعتهم قوتلوا وإن لم يبينوا بدارهم ويدعوا إلى بدعتهم فإنهم لا يُسلم عليهم، ولا يناكحوا ولا يُعاد مريضهم، ولا تُشهد جنائزهم أدبًا لهم، ويُؤدبون ويُسجنون حتى يرجعوا عن بدعتهم يريد: كما فعل عمر بصبيغ، ويرثهم ورثتهم إن ماتوا وإن ضاعوا فلا بأس أن يصلى عليهم.

الشرح

تتضمن هذه الفقرة ما يلي:

١- حكم مالك في أهل البدع.

سبق أن مالكًا توقف في الحرورية، وهنا رأى كفرهم، إذًا لمالك في ذلك روايات:

الأولى: التوقف.

الثانية: التكفير.

الثالثة: عدم التكفير.

والصواب أن مرجع هذا إلى البدع، فمن كانت بدعته مكفرة فهذا كفر، وتحمل عليه الرواية الثانية عن مالك، ومن كانت بدعته غير مكفرة فهذا فاسقٌ مبتدع ليس بكافر وعليه تحمل الرواية الثانية.

٢- كيفية معاملة أهل البدع.

إن أهل البدع على نوعين:

الأول: إن شقوا العصا ودعوا إلى بدعتهم فهؤلاء يقاتلهم ولي الأمر إن وجد قوة حتى يعودوا.

الثاني: إن لم يشقوا العصا وكانوا مع المسلمين فلهم حالتان:

الأولى: إن كان لأهل السنة قوة وشوكة، فلا يسلم عليهم، ولا يعاد مريضهم، ويسجنون أدبا حتى يتوبوا.

الثانية: إن كان أهل السنة في حالة ضعف، والقوة لأهل البدع فإنهم يدارونهم، ويرد على بدعتهم على حسب المقام مراعيًا المصلحة والمفسدة.

تمت التعليقات والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

حقوق الطبع محفوظة



شبكة بينونة للعلوم الشرعية